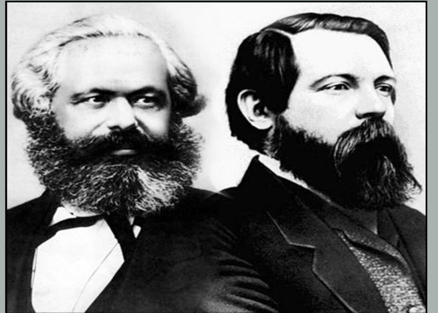
كارل ماركس وفريديريك انجلس

البيان الشيوعي





الشركة اللبنانية للكتاب
بيروت _ لبنان

وان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقريين المفهوم الجديد للعالم ، يعرض المادية المتماسكة التي تشمل ايضاً ميدان الحياة الاجتماعية ، والديالكتيك ، بوصفه العلم الاوسع والاعمق للتطور ، ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا ، خالقة المجتمع الجديد ، المجتمع الشيوعي» .

لينين

الشركة اللبنانية للكتاب
بيروت . لبنان

يا عمال العالم ، إتحدوا !

ماركس وانجلس

البيان الشيوعي

مقدمة الطبعة الالمانية عام ١٨٧٢

ان «عصبة الشيوعيين» ، وهي جمعية عمال اممية لم يكن من الممكن بحكم الظروف في ذلك العهد الا ان تكون جمعية سرية ، كلفت الموقعين ادناه ، في مؤتمر لندن المنعقد في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٤٧ ، بوضع برنامج مفصل للحزب ، نظري وتطبيقي ، قصد نشره . هذا هو منشأ هذا «البيان» الذي ارسلت نسخته الخطية لتطبع في لندن قبل ثورة شباط * بعدة اسابيع . وقد نشر «البيان» بادئ الامر بالالمانية وصدر منه في هذه اللغة ما لا يقل عن اثنتي عشرة طبعة مختلفة في المانيا وانكلترا واميركا . ثم نقلته الى الانكليزية المس هيلين ماك فارلن ، ونشر للمرة الاولى عام ١٨٥٠ في لندن بجريدة «Red Republican» («ريد ريببليكان») . وفي عام ١٨٧١ ظهر منه في اميركا ما لا يقل عن ثلاث ترجمات مختلفة بالانكليزية . وظهرت الترجمة الفرنسية للمرة الاولى في باريس قبيل انتفاضة حزيران (يونيو) عام ١٨٤٨ ، ونشرته في الاونة الاخيرة جريدة «Le socialiste» («السوسياليست») في نيويورك . والآن تهيأ له ترجمة اخرى . وصدرت منه طبعة باللغة البولونية في لندن بعد ظهور الطبعة

---

* ثورة شباط (فبراير) عام ١٨٤٨ في فرنسا . — الناشر .

الالمانية الاولى بمدة وجيزة . ثم صدر باللغة الروسية في جنيف في العقد السابع ، وترجم كذلك الى اللغة الدانماركية بعيد نشره .

ورغـم ان الظروف تبدلت كثيراً خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة ، فالمبادىء العامة الواردة في هذا «البيان» لا تزال بالاجمال محافظة حتى اليوم على كل صحتها ، وان كان يجب ادخال بعض التعديل على عدد من الفقرات . ان «البيان» نفسه يوضح ان تطبيق هذه المبادىء يتعلق دائما وفي كل مكان بالظروف والاوضاع التاريخية في وقت معين ، فلا تعلق اهمية قائمة بذاتها على التدابير الثورية المذكورة في نهاية الفصل الثاني . ونحن لو عمدنا الى انشاء هذا المقطع اليوم ، لاختلف في اكثر من نقطة عن الاصل . وقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه ، نظراً للرقي العظيـم في الصناعة الكبرى خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة وما رافق هذا الرقي من تقدم الطبقة العاملة في تنظيمها الحزبي ، ونظراً للتجارب الواقعية التي تركتها ثورة شباط اولاً ، ثم على الخصوص كومونة باريس حين كانت السلطة السياسية لاول مرة بين ايدي البروليتاريا لمدة شهرين . فقد برهنت الكومونة بصورة خاصة ان «الطبقة العاملة لا يمكنها ان تكتفي بالاستيلاء على جهاز الدولة القائم واستخدامه في غاياتها الخاصة» (راجع „Der Bürgerkrieg in Frankreich, Adresse des Generalrats der Internationalen Arbeiterassoziation“ ، الطبعة الالمانية ، ص ١٩ ، حيث بسطت هذه الفكرة بصورة اكمل*) . ومما لا ريب فيه أيضاً ان نقد الادب الاشتراكي هو الآن غير

* راجع كارل ماركس . الحرب الاهلية في فرنسا . نداء المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية . — **الناشر** .

كامل ، اذ انه يتوقف عند عام ١٨٤٧ . ومن المفهوم كذلك ان الملاحظات بشأن موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة (الفصل ٤) ، وان كانت صحيحة اليوم ايضا من حيث مبادئها ، الا انها اصبحت عتيقة من حيث تفاصيلها ، لمجرد كون الحالة السياسية قد تغيرت بتمامها ، والتطور التاريخي قد قضى على معظم الاحزاب المذكورة فيها .

و«البيان» ، مع كل هذا ، وثيقة تاريخية لا نعتبر من حقنا تعديلها ، وربما نتوفق ونرفق احدى طبعاته المقبلة بمقدمة تستطيع ملء الفراغ بين عام ١٨٤٧ وايامنا هذه . اما الطبعة الحالية من «البيان» فقد فوجئنا بها مفاجأة ، ولم يكن لدينا الوقت لمثل هذا العمل .

كارل ماركس . فريدريك انجلس

لندن ، ٢٤ حزيران (يونيو)
١٨٧٢ .

مقدمة الطبعة الروسية الثانية عام ١٨٨٢

صدرت الطبعة الروسية الاولى ا«بيان الحزب الشيوعي» بترجمة باكونين عن مطبعة «كولوكول» في السنوات الاولى من العقد السابع * . ولم تكن الطبعة الروسية «للبيان» في ذلك الحين لتنال من المكانة والاهمية في عالم الغرب اكثر مما تناله طرفة ادبية . اما اليوم فقد لا يمكن القول بمثل هذا الراي .

ان ميدان انتشار الحركة البروليتارية كان ضيقاً جداً عند صدور «البيان» للمرة الاولى في كانون الاول (ديسمبر) عام ١٨٤٧ ، ويستدل على ذلك تماماً من الفصل الاخير من «البيان» : «موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة» الذي لم يرد فيه ذكر روسيا ولا الولايات المتحدة . ففي ذلك العهد كانت روسيا آخر قوة احتياطية كبيرة للرجعية الاوربية بأسرها ؛ كما كانت المهاجرة الى الولايات المتحدة تمتص ما يطفح ويفيض من قوى البروليتاريا الاوربية . كان هذان القطران يزودان اوربا

---

* ان الطبعة المنوه عنها انما صدرت عام ١٨٦٩ . وفي مقدمة انجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨ ، ورد بصورة خاطئة ايضاً تاريخ صدور هذه الطبعة الروسية لترجمة «البيان» (راجع الصفحة ١٦ من الطبعة الحالية) . — **الناشر** .

بالمواد الاولية ويقدمان لها في الوقت نفسه سوقاً لتصريف منتجاتها الصناعية . وعليه كان كل منهما بطريقة او باخرى ، بمثابة دعامة للنظام القائم في اوربا .

ولشد ما تبدل كل ذلك الآن ! فالهجرة الاوربية هي التي ، على وجه الدقة ، مكنت اميركا الشمالية من تطوير زراعتها بهذا الشكل العظيم ، حتى اصبحت هذه الزراعة تزعزع بمزاحمتها أسس ملكية الارض في اوربا سواء في ذلك الملكية الكبيرة او الصغيرة . وهذه الهجرة نفسها هي التي مكنت ايضاً الولايات المتحدة من الشروع في استثمار مواردها الصناعية الغنية بمقاييس وهمة من شأنهما ان تحدا حدا ، في وقت قصير ، للاحتكار الصناعي الذي تتمتع به اوربا الغربية وخاصة انكلترا . ويؤثر هذان العاملان ، بدورهما ، تاثيراً ثورياً في اميركا نفسها ، فان الملكية الصغيرة والمتوسطة لدى المزارعين ، هذه الملكية التي هي قاعدة كل النظام السياسي الاميركي ، تتغلب عليها يوماً بعد يوم مزاحمة المزارع الجبارة ، في حين تتشكل لاول مرة في المقاطعات الصناعية بروليتاريا كبيرة العدد ، ويتمركز الرأسمال تمركزاً يشبه حكايات الاساطير .

ولننتقل الآن الى روسيا ! فعند وقوع ثورة ١٨٤٨ – ١٨٤٩ ، كان ملوك اوربا وكذلك برجوازيتها ، يرون في تدخل روسيا الوسيلة الوحيدة للنجاة من البروليتاريا التي بدأت تستيقظ ، فكانوا يعلنون القيصر زعيم الرجعية في اوربا . اما اليوم فالقيصر في غاتشينا اسير حرب الثورة ، واصبحت روسيا في طليعة الحركة الثورية في اوربا .

كان «البيان الشيوعي» يستهدف اعلان الزوال المقبل والمحتوم للملكية البرجوازية الحالية . ولكن في روسيا ، الى جانب

الرأسمالية التي تتطور بسرعة شديدة ، والى جانب ملكية الارض البرجوازية التي اول ما بدأت تنشأ وتتطور ، نرى ان اكثر من نصف الارض هو ملك مشاع بين الفلاحين . فالمسألة تنحصر ، اذن ، في ان نعرف : أبوسع الملكية المشاعية عند الفلاحين الروس — التي هي شكل متفكك جداً من ملكية الارض المشاعية البدائية — ان تنتقل بصورة مباشرة الى شكل اعلى ، شيوعي لتملك الارض ، ام ينبغي ان تتبع في بادئ الامر طريق الانحلال الذي عاناه التطور التاريخي في الغرب ؟

ان الجواب الوحيد الذي يمكن اعطاؤه على هذا السؤال في الوقت الحاضر هو : اذا ادت الثورة الروسية الى نشوب ثورة بروليتارية في الغرب ، وكانت الثورتان احداهما تتمم الاخرى ، فان ملكية الارض المشاعية الحالية في روسيا يمكن ان تكون نقطة انطلاق لتطور شيوعي .

كارل ماركس . فريدريك انجلس

لندن ، ٢١ كانون الثاني (يناير)
١٨٨٢ .

مقدمة الطبعة الالمانية عام ١٨٨٣

عليّ ، لسوء الحظ ، ان اوقع وحدي مقدمة هذه الطبعة ، فان ماركس ، الرجل الذي تدين له الطبقة العاملة في اوربا واميركا باكثر مما تدين لاي امريء غيره ، ماركس يرتاح الآن في مقبرة هايغيت ، وقد اخذت الاعشاب الخضراء الاولى تنبت على قبره . وبعد وفاة ماركس ، لم يعد ثمة مجال لاعادة انشاء «البيان» او اتمامه ، وانما احسب من الضروري ان اؤكد مرة اخرى ما يلي .

ان الفكرة الرئيسية السائدة في «البيان» ، وهي ان الانتاج الاقتصادي والبناء الاجتماعي ، الذي ينشأ بالضرورة عنه ، يؤلفان في كل عهد تاريخي اساس التاريخ السياسي والفكري لهذا العهد ؛ ولذا فالتاريخ باسره (منذ انحلال الملكية البدائية المشاعية للارض) كان تاريخ نضال بين الطبقات : الطبقات المستثمَرة والطبقات المستثمِرة ، الطبقات المسودة والطبقات السائدة ، في مختلف مراحل التطور الاجتماعي ، ولكن هذا النضال قد وصل في الوقت الحاضر الى مرحلة اصبحت فيها الطبقة المستثمَرة المرهقة (وهي البروليتاريا) لا تستطيع ابداً ان تتحرر من نير الطبقة التي تستثمرها وترهقها (وهي البرجوازية) دون ان تحرر في الوقت نفسه ، والى الابد ، المجتمع باسره من الاستثمار والارهاق ، ومن نضال الطبقات ، — هذه الفكرة الرئيسية

السائدة في «البيان» تعود بصورة مطلقة الى ماركس ، واليه وحده * .

وقد اعلنت ذلك وصرحت به كثيراً ، ولكن من الواجب ان يظهر الآن هذا التصريح مرة اخرى ، في رأس «البيان» .

فريدريك انجلس

لندن ، ٢٨ حزيران (يونيـو)
١٨٨٣ .

* «وان هذه الفكرة ، ـ كمـا ذكرت في مقدمة الطبعة الانكليزية ، ـ التي ستفعل في علم التاريخ ، حسب رأيي ، فعل نظرية داروين في علم البيولوجيا ، انما اقتربنا اليها ، كلانا معا ، بصورة تدريجية ، قبل عام ١٨٤٥ بعدة اعوام . اما الى اي حد سرت انا بنفسي في هذا الاتجاه ، فان ذلك يبدو في اشد الوضوح في كتابي «حالة الطبقة العاملة في انكلترا» . ولكن ، عندما التقيت بماركس من جديد في بروكسل ، في ربيع ١٨٤٥ ، كان قد اتم وضع هذه الفكرة ، وعرضها علي تقريبا بنفس الوضوح الذي اوردتها به هنا» . (**ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية** عام ١٨٩٠) .

مقدمة الطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨

صدر «البيان» بوصفه برنامج «عصبة الشيوعيين» ، وهي رابطة للشغيلة ، كانت في بادئ الامر المانية صرف ، ومن بعد عالمية ، وكانت حتماً جمعية سرية بحكم الاوضاع السياسية في القارة قبل عام ١٨٤٨ . وفي مؤتمر للعصبة انعقد في لندن في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٧ ، عهد الى ماركس وانجلس باعداد برنامج مفصل للحزب ، نظري وتطبيقي ، قصد نشره . وقد كتب النص في المانيا ، في شهر كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨ ، وارسلت المخطوطة باللغة الالمانية الى الناشر في لندن قبل ثورة الرابع والعشرين من شباط (فبراير) في فرنسا ببضعة اسابيع . وفي باريس صدرت ترجمة فرنسية قبيل انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ . وصدرت الترجمة الانكليزية الاولى ، للمس هيلين ماك فارلن ، في صحيفة "Red Republican" («ريد ريببليكان») لصاحبها جورج جوليان هارني ، في لندن ، عام ١٨٥٠ . كذلك صدرت ترجمة دانماركية واخرى بولونية .

ان هزيمة الانتفاضة الباريسية في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ – وكانت اول معركة كبيرة بين البروليتاريا والبرجوازية – نحّت من جديد الى الظل لمدة من الوقت مطامح الطبقة العاملة الاوربية في الميدانين الاجتماعي والسياسي . ومذ ذاك تجدد النضال في

سبيل الزعامة ، كما كان الحال قبل ثورة شباط ، بين مختلف فئات الطبقات المالكة ، بوجه الحصر ؛ واضطرت الطبقة العاملة الى النضال في سبيل حرية العمل السياسية والى لزوم موقف الجناح الاقصى من الراديكاليين ، ممثلي الطبقة المتوسطة . وحيثما ظلت الحركات البروليتارية المستقلة تظهر عليها دلائل الحياة ، فقد كان يقضى عليها بعنف وقسوة . فهكذا كشف البوليس البروسي المجلس المركزي لعصبة الشيوعيين ، وكان مقره آنذاك في كولونيا . وقد اعتقل اعضاؤه ، واحيلوا الى المحاكمة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥٢ ، بعد سجن ، دام ثمانية عشر شهراً . وقد دامت «محاكمة شيوعيي كولونيا» الشهيرة هذه من الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) حتى الثاني عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) . وحكم على سبعة من المتهمين بالاشغال الشاقة مدداً تتراوح بين ٣ سنوات و٦ . وبعد الحكم فوراً ، حل الاعضاء الباقون العصبة رسمياً . ومذ ذاك ، على ما بدا ، غدا «البيان» امراً منسياً .

وحين استعادت الطبقة العاملة الاوربية من القوى ما يكفيها لشن هجوم جديد على الطبقات الحاكمة ، انبثقت جمعية الشغيلة العالمية * . ولكن هذه الجمعية التي استهدفت صراحة ان تحشد عموم البروليتاريا المناضلة في اوربا واميركا وتجعلها كرجل واحد ، لم تستطع من الوهلة الاولى ان تجهر بالمبادئ الواردة في «البيان» . فقد كان يتعين على الاممية ان يكون لها برنامج واسع بحيث تقبله النقابات الانكليزية ، ويقبله اتباع برودون في فرنسا ، وبلجيكا ،

---

* الاممية الاولى . — **المعرب** .

وايطاليا ، واسبانيا ، واللاساليون* في المانيا . ان ماركس ، الذي وضع بنفسه هذا البرنامج ، لما فيه رضى جميع هذه الاحزاب ، كان يثق كل الثقة بنمو الطبقة العاملة الفكري الذي لا بدّ ان يؤدي اليه العمل المشترك وتبادل الآراء . ان كثرة الاحداث والتقلبات التي عرفها النضال ضد الرأسمال ، والهزائم ايضاً اكثر من الانتصارات ، كان لا بدّ لها ان تبين للناس فساد مختلف انواع الوصفات المفضلة لديهم والتي كانوا يعتبرونها دواء لكل داء ، وان تمهد السبيل امام ادراك اكمل عند العمال للشروط الحقيقية لتحرر الطبقة العاملة . وكان ماركس على حق . فان الاممية تركت العمال ، عند انحلالها عام ١٨٧٤ ، في حالة تختلف كلياً عن الحالة التي وجدتهم فيها عند تأسيسها عام ١٨٦٤ . فالبرودونية في فرنسا ، واللاسالية في المانيا كانتا بسبيل الاحتضار ، وحتى النقابات الانكليزية المحافظة ، وان كانت اكثرها قد قطعت صلاتها بالاممية قبل ذلك بزمن طويل ، شرعت تتقدم تدريجياً نحو هذا الموقف الذي استطاع ان يقول منه رئيس مؤتمرها باسمها ، في السنة الماضية ، في سوانسي ، ان «الاشتراكية القارية لم تعد تخيفنا» . وفي الواقع ، انتشرت مبادئ «البيان» الى حد كبير بين صفوف الشغيلة في جميع البلدان .

وهكذا عاد «البيان» نفسه الى مكان الصدارة من جديد . وابتداء من عام ١٨٥٠ اعيد طبع النص الالماني مراراً عديدة

---

* كان لاسال بنفسه يقول لنا عن نفسه انه من تلامذة ماركس وانه لهذا يقف في نطاق «البيان» . ولكنه لم يتجاوز في نشاطه التحريضي في اعوام ١٨٦٢–١٨٦٤ المطالبة بانشاء جمعيات انتاج تعاونية تدعمها الدولة بمدها بالاعتمادات . (**ملاحظة انجلس .**)

في سويسرا وانكلترا واميركا . وفي عام ١٨٧٢ ترجم مجددا الى الانكليزية في نيويورك ، حيث صدرت الترجمة في صحيفة «Woodhull and Claflin's Weekly» («وودهول انـد كلافلنس ويكلي») . ونقلاً عن هذه الترجمة الانكليزية صدرت ترجمة فرنسية في جريدة «Le Socialiste» («السوسياليست») الصادرة في نيويورك . وبعد ذاك صدرت في اميركا ،على الاقل ، ترجمتان انكليزيتان ، مشوهتان الى هذا الحد او ذاك ، واعيد طبع واحدة منهما في انكلترا . اما الترجمة الروسية الاولى التي قام بها باكونين ، فقد اصدرتها دار «كولوكول» التابعة لهرتسن ، في جنيف ، حوالي عام ١٨٦٣ ؛ وفي جنيف ايضاً ، صدرت عام ١٨٨٢ ترجمة روسية اخرى ، قامت بها البطلة فيرا زاسوليتش * . ثم ظهرت طبعة دانماركية جديدة في "Socialdemokratisk Bibliothek" («سوسيال ديموقراطيك ببليوتيك») ، كوبنهاغن ، عام ١٨٨٥ ؛ وترجمة فرنسية حديثة في "Le Socialiste" («السوسياليست») ، باريس ، عام ١٨٨٦ ** . ونقلاً عن هذه الترجمة الفرنسية ، صدرت ترجمة اسبانية في مدريد ، عام ١٨٨٦ . اما الطبعات الالمانية فلا حاجة الى تعدادها ، وقد بلغت في نهاية الامر ما لا يقل عن ١٢ طبعة بالاجمال . وهناك ترجمة ارمنية ، اعدت للنشر في القسطنطينية

---

* فيما بعد اشار انجلس بنفسه ، وعن حق ، في خلاصة لمقال «العلاقات الاجتماعية في روسيا» ان صاحب هذه الترجمة هو بليخانوف . — **الناشر** .

** التاريخ خاطئ . فالترجمة الفرنسية التي ذكرها انجلس نشرت في «Le Socialiste» في عام ١٨٨٥ . — **الناشر** .

منذ بضعة اشهر ، ولكنها لم تر النور ، كما قيل لي ، لأن الناشر خاف ان ينشر كتاباً يحمل اسم ماركس ، حين رفض المترجم ان ينتحل الكتاب فيصدر على انه من تاليفه . وقد سمعت عن ترجمات لاحقة بلغات اخرى ، ولكني لم ارها . وهكذا يعكس تاريخ «البيان» ، الى حد كبير ، تاريخ الحركة العمالية المعاصرة ؛ ولا ريب انه في الوقت الراهن اوسع المطبوعـات الاشتراكية انتشاراً ، واكثرها اممية ، بل هو البرنامج العام الذي يتبناه ملايين العمال من سيبيريا الى كاليفورنيا .

ومع ذلك لم نستطع ان نسميه عند وضعه بالبيان **الاشتراكي** . ففي عام ١٨٤٧ كان يسمى بالاشتراكيين ، من جهة ، اتباع مختلف النظم الطوبوية : الاوونيون في انكلترا والفورييريون في فرنسا ، وكل من الفريقين كان قد تحول الى فئة ضيقة ، مغلقة ، وبسبيل الزوال تدريجيـاً ، ومن جهـة اخرى ، المشعوذون الاجتماعيون من كل شاكلة وطراز ، ممن كانوا يعدون بشتى وسائل التمويه بان يقوّموا شتى المظالم الاجتماعية ، دون اي مساس بالرأسمال والربح . وفي كلتا الحالتين ، لم يكن هؤلاء جميعاً سوى اناس يقفون خارج حركة الطبقة العاملة وينتظرون ، بالاحرى ، العون والتأييد من الطبقات «المثقفة» . اما ذلك القسم من الطبقة العاملـة الذي اقتنع بعدم كفايـة الانقلابات السياسية الصرف ونادى بضرورة اجراء تغيير اجتماعي جوهري كامل ، فاطلق على نفسه اذ ذاك اسم الشيوعيين . وكان هذا نوعاً من الشيوعية ، فجاً ، غير مصقول ، وغريزياً صرفاً ؛ الا انه اقترب من النقطة الرئيسية ، وبلغ درجة من القوة بين صفوف الطبقة العاملة مكّنته من احداث الشيوعية الطوبوية التي نادى بها كابه في فرنسا ، وويتلينغ في المانيا . وهكذا كانت الاشتراكية

في عام ١٨٤٧ حركة من الحركات البرجوازية ، والشيوعية حركة من حركات الطبقة العاملة . وكانت الاشتراكية ، في القارة على الاقل ، «اهلاً للاحترام» ؛ بينا الشيوعية على نقيضها تماماً . وبما اننا كنا نعتبر منذ البدء ، ان «تحرير الطبقة العاملة لا يمكنه إلاّ ان يكون من صنع الطبقة العاملة نفسها» ، فلم يكن في استطاعتنا ان نتردد في الاسم الذي ينبغي لنا ان نختاره بين الاسمين ، وفضلاً عن ذلك ، لم يخطر لنا قط منذ ذلك الوقت ان ننبذ هذه التسمية .

ومع ان «البيان» جاء ثمرة عملنا المشترك ، الا اني ارى من واجبي ان اعلن ان فكرته الرئيسية التي تشكل جوهره ، انما هي فكرة ماركس ، وهي الفكرة التالية : ان الاسلوب الاقتصادي السائد في الانتاج والتبادل يشكل ، في كل حقبة تاريخية معينة ، مع التنظيم الاجتماعي المنبثق بالضرورة عنه ، الاساس الذي يقوم عليه تاريخ هذه الحقبة السياسي والفكري ، والذي يمكن بالاعتماد عليه فقط تفسير هذا التاريخ ؛ وبالتالي ، فان كل تاريخ الانسانية (منذ انحلال المجتمع البدائي القبلي ، والملكية المشاعية للارض) قد كان تاريخ النضال بين الطبقات ، بين الطبقات المستثمِرة والمستثمَرة ، بين الطبقات الحاكمة والمحكومة ؛ وان تاريخ هذه النضالات الطبقية يؤلف سلسلة من المراحل المتعاقبة بلغت اليوم مرحلة لا يمكن فيها للطبقة المستثمَرة والمضطهَدة – اي البروليتاريا – ان تحرر نفسها من نير الطبقة المستثمِرة والحاكمة – اي البرجوازية ، – دون ان تحرر معها المجتمع باسره ، في الوقت نفسه والى الابد ، من كل استثمار واضطهاد ، من كل الفوارق الطبقية والنضالات الطبقية .

ان هذه الفكرة ، التي ستفعل في علم التاريخ ، حسب رأيي ، فعل نظرية داروين في علم البيولوجيا ، انما اقتربنا اليها ، كلانا معاً ، بصورة تدريجية قبل عام ١٨٤٥ بعدة اعوام . اما الى اي حد سرت انا بنفسي في هذا الاتجاه ، فان ذلك يبدو في اشد الوضوح في كتابي «حالة الطبقة العاملة في انكلترا» * . ولكن ، عندمـــا التقيت بماركس من جديد في بروكسل ، في ربيع ١٨٤٥ ، كان قد اتـم وضـع هـذه الفكـرة ، وعرضها عليّ تقريباً بنفس الوضوح الذي اوردتها به هنا .

ومن مقدمتنا المشتركة للطبعة الالمانية عام ١٨٧٢ ، اورد ما يلي :

«ورغم ان الظروف تبدلت كثيراً خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة ، فالمبادىء العامة الواردة في هذا «البيان» لا تزال بالاجمال محافظة حتى اليوم على كل صحتها ، وان كان يجب ادخال بعض التعديل على عدد من النقرات . ان «البيان» نفسه يوضح ان تطبيق هذه المبادىء يتعلق دائماً وفي كل مكان بالظروف والاوضاع التاريخية في وقت معين ، فلا تعلق اهمية قائمة بذاتها على التدابير الثورية المذكورة في نهاية الفصل الثاني . ونحن لو عمدنا الى انشاء هذا المقطع اليوم ، لاختلف في اكثر من نقطة عن الاصل . وقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه ، نظراً للرقي العظيم في الصناعة الكبرى خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة وما رافق هذا الرقي من تقدم الطبقة العاملة في تنظيمها الحزبي ، ونظراً للتجارب الواقعية التي تركتها

«The Condition of the Working Class in England in 1844». *
By Frederick Engels. Translated by Florence K. Wischnewetsky, New York, Lovell—London. W. Reeves, 1888. (ملاحظة انجلس)

ثورة شباط اولاً ، ثم على الخصوص كومونة باريس حين كانت السلطة السياسية لاول مرة بين ايدي البروليتاريا لمدة شهرين . فقد برهنت الكومونة بصورة خاصة ان «الطبقة العاملة لا يمكنها ان تكتفي بالاستيلاء على جهاز الدولة القائم واستخدامه في غاياتها الخاصة» (راجع
"The Civil War in France; Address of the General Council of the International Working-men's Association". London. Truelove, 1871, ص ١٥ * ؛ حيث بسطت هذه الفكرة بصورة اكمل) . ومما لا ريب فيه أيضاً ان نقد الادب الاشتراكي هو الآن غير كامل ، اذ انه يتوقف عند عام ١٨٤٧ . ومن المفهوم كذلك ان الملاحظات بشأن موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة (الفصل ٤) ، وان كانت صحيحة اليوم ايضا من حيث مبادئها ، الا انها اصبحت عتيقة من حيث تفاصيلها ، لمجرد كون الحالة السياسية قد تغيرت بتمامها ، والتطور التاريخي قد قضى على معظم الاحزاب المذكورة فيها .

و«البيان» ، مع كل هذا ، وثيقة تاريخية لا نعتبر من حقنا تعديلها» .

ان الترجمة الحالية هي للسيد صموئيل مور ، مترجم القسم الاكبر من مؤلف ماركس «الرأسمال» . وقد اعدنا النظر فيها معاً ، واضفت اليها بعض الملاحظات التفسيرية للاشارات التاريخية .

فريدريك انجلس

لندن ، ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨ .

---

* راجع كارل ماركس . الحرب الاهلية في فرنسا . نداء المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية . ـ **الناشر** .

مقدمة الطبعة الالمانية عام ١٨٩٠

منذ ان كتبت ما تقدم * اصبح اصدار طبعة جديدة من «البيان» باللغة الالمانية امراً ضرورياً . ومن المهم ان نستعيد هنا ذكر الحوادث التي ترتبط «بالبيان» نفسه :

صدرت عام ١٨٨٢ في جنيف طبعة ثانية باللغة الروسية ترجمتها فيرا زاسوليتش ، وقد وضعنا ماركس وانا مقدمتها ؛ ولسوء الحظ اضعت النسخة الخطية الالمانية الاصلية لهذه المقدمة ، وعلي ان اترجمها من جديد عن اللغة الروسية ، مما لا يعود بفائدة على النص نفسه ** . وهذه هي المقدمة المذكورة :

«صدرت الطبعة الروسية الاولى ل«بيان الحزب الشيوعي» بترجمة باكونين عن مطبعة «كولوكول» في السنوات الاولى من العقد السابع . ولم تكن الطبعة الروسية «للبيان» في ذلك الحين لتنال من المكانة والاهمية في عالم الغرب ، اكثر مما تناله طرفة ادبية . اما اليوم فقد لا يمكن القول بمثل هذا الرأي .

ان ميدان انتشار الحركة البروليتارية كان ضيقاً جداً عند صدور «البيان» للمرة الاولى في كانون الاول (ديسمبر) عام

---

* يقصد انجلس مقدمته للطبعة الالمانية عام ١٨٨٣ . — **الناشر** .

** وجدت هذه النسخة فيما بعد ، وهي محفوظة في ارشيف معهد الماركسية-اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي . — **الناشر** .

١٨٤٧ ، ويستدل على ذلك تماما من الفصل الاخير من «البيان» : «موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة» الذي لم يرد فيه ذكر روسيا ولا الولايات المتحدة . ففي ذلك العهد كانت روسيا آخر قوة احتياطية كبيرة للرجعية الاوربية باسرها ، كما كانت المهاجرة الى الولايات المتحدة تمتص ما يطفح ويفيض من قوى البروليتاريا الاوربية . وكان هذان القطران يزودان اوربا بالمواد الاولية ويقدمان لها في الوقت نفسه سوقاً لتصريف منتجاتها الصناعية . وعليه كان كل منهما ، بطريقة او باخرى ، بمثابة دعامة للنظام القائم في اوربا .

ولشد ما تبدل كل ذلك الآن ! فالهجرة الاوربية هي التي ، على وجه الدقة ، مكنت اميركا الشمالية من تطوير زراعتها بهذا الشكل العظيم ، حتى اصبحت هذه الزراعة تزعزع بمزاحمتها أسس ملكية الارض في اوربا سواء في ذلك الملكية الكبيرة او الصغيرة . وهذه الهجرة نفسها هي التي مكنت ايضاً الولايات المتحدة من الشروع في استثمار مواردها الصناعية الغنية بمقاييس وهمة من شانهما ان تحدا حداً ، في وقت قصير للاحتكار الصناعي الذي تتمتع به اوربا الغربية وخاصة انكلترا . ويؤثر هذان العاملان ، بدورهما ، تاثيراً ثوريا في اميركا نفسها ، فان الملكية الصغيرة والمتوسطة لدى المزارعين ، هذه الملكية التي هي قاعدة كل النظام السياسي الاميركي ، تتغلب عليها يوما بعد يوم مزاحمة المزارع الجبارة ، في حين تتشكل لاول مرة في المقاطعات الصناعية بروليتاريا كبيرة العدد ، ويتمركز الرأسمال تمركزاً يشبه حكايات الاساطير .

ولننتقل الآن الى روسيا ! فعند وقوع ثورة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ ، كان ملوك اوربا وكذلك برجوازيتها ، يرون في تدخل

روسيا الوسيلة الوحيدة للنجاة من البروليتاريا التي بدأت تستيقظ ، فكانوا يعلنون القيصر زعيم الرجعية في اوربا . اما اليوم فالقيصر في غاتشينا اسير حرب الثورة ، واصبحت روسيا في طليعة الحركة الثورية في اوربا .

كان «البيان الشيوعي» يستهدف اعلان الزوال المقبل والمحتوم للملكية البرجوازية الحالية . ولكن في روسيا ، الى جانب الرأسمالية التي تتطور بسرعة شديدة ، والى جانب ملكية الارض البرجوازية التي اول ما بدأت تنشأ وتتطور ، نرى ان اكثر من نصف الارض هو ملك مشاع بين الفلاحين . فالمسألة تنحصر ، اذن ، في ان نعرف : أبوسع الملكية المشاعية عند الفلاحين الروس – التي هي شكل متفكك جداً من ملكية الارض المشاعية البدائية – ان تنتقل بصورة مباشرة الى شكل اعلى ، شيوعي لتملك الارض ، ام ينبغي ان تتبع في بادىء الامر طريق الانحلال الذي عاناه التطور التاريخي في الغرب ؟

ان الجواب الوحيد الذي يمكن اعطاؤه على هذا السؤال في الوقت الحاضر هو : اذا ادت الثورة الروسية الى نشوب ثورة بروليتارية في الغرب ، وكانت الثورتان احداهما تتمم الاخرى ، فان ملكية الارض المشاعية الحالية في روسيا يمكن ان تكون نقطة انطلاق لتطور شيوعي .

كارل ماركس . فريدريك انجلس

لندن ، ٢١ كانون الثاني (يناير)
١٨٨٢» .

وقد صدرت طبعة جديدة «للبيان» باللغة البولونية في هذا العهد نفسه في جنيف بعنوان : "Manifest Kommunistyczny".

وبعدئذ صدرت طبعة جديدة بالدانماركية عن („Socialdemokratisk Bibliothek, Kjöbenhavn 1885" «المكتبة الاشتراكية الديموقراطية ، كوبنهاغن ١٨٨٥») ، ولكنها ، مع الاسف ، غير كاملة . فهناك مقاطع هامة اوقفت المترجم ، كما يظهر ، فاهملها ، ويلمس ايضا هنا وهناك بعض آثار الاهمال التي يؤسف لوقوعها ، اذ ان الترجمة ، كما يبدو من القسم الباقي ، كانت تكون رائعة لو نالت نصيبا اوفى من الانتباه .

وفي عام ١٨٨٦ صدرت ترجمة فرنسية جديدة في جريدة «Le Socialiste» «السوسياليست» الباريسية ، وهي حتى الآن احسن ترجمة .

وعن هذه الترجمة الفرنسية ، ظهرت في العام نفسه ترجمة باللغة الاسبانية نشرت اولاً في جريدة "El Socialista" في مدريد ، ثم صدرت في كراس بهذا العنوان : "Manifiesto del Partido Comunista", por Carlos Marx y F. Engels. Madrid. Administracion de "El Socialista". Hernan Cortés 8.

واذكر هنا من باب الفضول ان ترجمة «البيان» بالارمنية قدمت عام ١٨٨٧ الى احد الناشرين في القسطنطينية ، ولكن هذا الرجل المحترم لم يجرؤ على طبع كراس يحمل اسم ماركس ورأى ان من الافضل ان يضع المترجم اسمه مكان اسم المؤلف ، الا ان المترجم رفض رفضاً باتاً .

وطبعت عدة مرات في انكلترا بعض الترجمات الاميركية وكلها غير صحيحة الى هذا الحد او ذاك . ثم ظهرت ترجمة صحيحة تامة بقلم صديقي صموئيل مور

عــام ١٨٨٨ وراجعناهــا معاً قبل طبعهــا وهي بعنـوان :
"Manifesto of the Communist Party, by Karl Marx and Frederick Engels. Authorized English Translation, edited and annotated by Frederick Engels. 1888. London, William Reeves, 185 Fleet st. E.C.". وقد اوردت في هذه الطبعة الحالية بعض الملاحظات الواردة في الترجمة الانكليزية هذه .

لقد عاش «البيان» حيــاة خاصة به ، فاستقبلته عند صدوره طليعة الاشتراكية العلمية ، وكانت اذ ذاك قليلة العدد جداً ، بتحيات الحماسة (وتشهد على ذلك الترجمات المذكورة في المقدمة الاولى) ، ثم قذفت به الرجعية الى مركز ثانوي عقيب انكسار العمال الباريسيين في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، وفي آخر الامر اصبح «البيان» محرماً «بمقتضى القانون» عند صدور الحكم على شيوعيي كولونيــا في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٥٢ . ومن زوال حركة العمــال التي قامت في ثورة شبــاط (فبراير) عن مسرح الحياة الاجتماعية ، غاب «البيان» ايضاً .

ولما استعادت الطبقة العاملة الاوربية قواها لهجوم جديد على سلطة الطبقات الحاكمة ، نشأت جمعية الشغيلة العالمية ، وكان هدفها ان تصهر جميع القوى المناضلة في الطبقة العاملة الاوربيــة والاميركية في جيش جرار **واحد** . فلــم يكن في استطاعتها ، اذن ، ان **تنطلق بصورة مباشرة** من المبادئ المعروضة في «البيان» ، اذ كان عليها ان تضع برنامجاً لا يقفل الباب امام النقابات الانكليزية ولا امام البرودونيين الفرنسيين والبلجيكيين والايطاليين والاسبانيين ، ولا امام اللاساليين الالمان * . وهذا

---

* كان لاسال يؤكد دائما في علاقاته معنا انه «تلميذ» لماركس ، وعلى هذا النحو كان يقف موقف «البيان» ، بالطبع . ولكن الامر لم

البرنامج ـ الذي هو توطئة النظام الداخلي للاممية* ـ وضعه ماركس بمهارة اعترف بها حتى باكونين والفوضويـــون . وكان ماركس يؤمن الايمان كله بالانتصار النهائي للمبادئ الواردة في «البيان» ، وهو يعتمد في ذلك كلياً وبوجه الحصر على التقدم الفكري للطبقة العاملة ، الذي كان يجب ان ينتج حتما عن النشاط المشترك والمناقشـــة . ولم يكن من الممكن ان تمـــر الحوادث وتتابع الانتصارات والاندحارات في النضـــال ضد الرأسمـــال ، والاندحارات اكثر من الانتصارات ، دون ان تشعر المناضلين بان علاجاتهم الشافية غير كافية ، وتجعلهم يدركون ادراكا عميقا الشروط الحقيقية الضرورية لتحريـــر العمـــال . وكان ماركس محقا فيما يذهب اليه . فان الطبقة العاملة في عام ١٨٧٤ ، بعد حل الاممية كانت تختلف اختلافا كلياً عن تلك التي كانت في عام ١٨٦٤ عند تاسيس الاممية . فالبرودونية في البلاد اللاتينية ، واللاسالية الموصوفة في المانيا ، كانتا في دور الاحتضار وحتى النقابات الانكليزية نفسها المغرقة في الرجعية كانت تقترب شيئا فشيئا من اللحظة التي كان يستطيع فيها رئيس مؤتمرها المنعقد في سوانسي عام ١٨٨٧ ان يصرح باسمها : «ان الاشتراكية القارية لم تعد تخيفنا» . الا ان الاشتراكية في القارة الاوربية كانت آنذاك ، اي عام ١٨٨٧ ، تنطبق كلها تقريبا على النظرية

يكن كذلك مع بعض انصاره الذين لم يتجاوزوا برنامجه عن جمعيات انتاج تعاونية تمدها الدولة بالاعتمادات والذين قسموا كل الطبقة العاملة الى قسمين : انصار الاعتماد على الحكومة وانصار الاعتماد على النفس . **(ملاحظة انجلس .)**

* راجع كارل ماركس . النظام الداخلي العام ولائحة التنظيم لجمعية الشغيلة العالمية . ـ **الناشر .**

المشروحة في «البيان» . وهكذا يعكس تاريخ «البيان» ، الى حد ما ، تاريخ حركة العمال الحديثة منذ عام ١٨٤٨ . ولا ريب انه في الوقت الراهن اوسع المطبوعات الاشتراكية انتشاراً واكثرها اممية ، بل هو البرنامج العام للملايين العديدة من العمال في جميع البلدان ، من سيبيريا الى كاليفورنيا .

ومع ذلك لم يكن في استطاعتنا ان نسميه عند صدوره بالبيان **الاشتراكي** . ففي عام ١٨٤٧ كانت كلمة «الاشتراكي» هذه تضم نوعين من الناس : من جهة اتباع مختلف النظم الطوباوية ، واخصهم «الاووينيون» في انكلترا ، و«الفوريريون» في فرنسا ، وكانوا جميعاً قد اصبحوا حلقات بسيطة في دورالاحتضار . ومن جهة اخرى المشعوذون الاجتماعيون من كل شاكلة وطراز ، الذين كانوا يريدون بواسطة اكداس العلاجات ، وكل انواع الترقيع والترميم ، ان يمحوا البؤس الاجتماعي دون ان يصيبوا الرأسمال والربح بادنى ضرر . وفي كلتا الحالتين ، لم يكن هؤلاء جميعاً سوى اناس يقفون خارج حركة العمال وينتظرون ، بالاحرى ، العون والتأييد من الطبقات «المثقفة» . وبعكس ذلك ، كان هناك قسم من العمال مقتنع بعدم كفاية الانقلابات السياسية الصرف ، ويسعى وراء تغيير المجتمع تغييراً جوهرياً كاملاً ، وكان هذا القسم يسمي نفسه اذ ذاك **شيوعياً** . وكانت شيوعيتهم هذه غير مكتملة ، شيوعية غريزية ، فيها احياناً شيء من الخشونة ، الا انه كان فيها ، مع ذلك القوة الكافية لتكوين منهجين من الشيوعية الطوباوية : في فرنسا «ايكارية» كابه ، وفي المانيا منهج ويتلينغ . كانت الاشتراكية تدل في عام ١٨٤٧ على حركة برجوازية ، والشيوعية على حركة عمال . وكانت للاشتراكية ، في القارة الاوربية على الاقل ، مداخلها الى المجتمع الراقي ، اما الشيوعية ، فكان الامر معها على عكس ذلك تماماً !

ولما كان رأينا الصريح الواضح منذ ذلك الحين ان «تحرير الطبقة العاملة لا يمكنه الا ان يكون من صنع الطبقة العاملة نفسها» ، لم يكن في استطاعتنا ان نتردد لحظة في الاسم الذي ينبغي لنا ان نختاره بين الاسمين . ولم يخطر لنا قط منذ ذلك الوقت ان ننبذ هذه التسمية .

«يا عمال العالم ، اتحدوا !» ـ حينما القينا هذه الكلمات في العالم لم تجاوبنا سوى بضعة اصوات فقط . وكان ذلك منذ اثنتين واربعين سنة وكنا اذ ذاك على اعتاب الثورة الباريسية اول ثورة خاضتها البروليتاريا بمطاليبها الخاصة . ولكن لم يحن يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٦٤ حتى كان العمال من اكثر اقطار اوربا الغربية يتحدون ويؤلفون جمعية الشغيلة العالمية ذات الذكرى المجيدة . ان الاممية نفسها لم تعش سوى تسع سنوات . اما التحالف الابدي الذي انشأته بين عمال جميع البلدان ، فليس ادل من يومنا هذا نفسه على انه لا يزال موجوداً ، وانه الآن اقوى منه في اي وقت مضى . ففي اللحظة التي اكتب فيها هذه السطور ، تستعرض البروليتاريا الاوربية والاميركية قواها الكفاحية التي تنتظم لاول مرة في جيش **واحد** ، وتحت علم **واحد** ، وفي سبيل هدف مباشر **واحد** ـ هو تحديد يوم العمل العادي بثماني ساعات تحديداً مشروعاً ، هذا اليوم الذي طالب به مؤتمر الاممية المنعقد في جنيف عام ١٨٦٦ ، وطالب به من جديد مؤتمر العمال المنعقد في باريس عام ١٨٨٩ . إن مرأى هذا اليوم سوف يبين للرأسماليين وكبار اصحاب الاراضي في كل الاقطار ، ان عمال العالم متحدون الآن اتحاداً حقيقياً فعلياً .

الا ليت ماركس الى جانبي ليرى بعينيه كل هذا !

فريدريك انجلس

لندن ، اول ايار (مايو) ١٨٩٠ .

مقدمة الطبعة البولونية عام ١٨٩٢

لقد اصبح من الضروري اصدار طبعة بولونية جديدة من «البيان الشيوعي» ، وهذا الواقع يولّد مختلف الافكار .

باديء ذي بدء ، تنبغي الاشارة الى ان «البيان» قد غدا في المدة الاخيرة بمثابة مقياس يدل على تطور الصناعة الكبيرة في القارة الاوربية . وتبعاً لاتساع الصناعة الكبيرة في بلد معين ، تشتد الرغبة بين عمال هذا البلد في ادراك موقفهم بوصفهم الطبقة العاملة في علاقتها مع الطبقات المالكة ، وتنتشر الحركة الاشتراكية بينهم ، ويتعاظم الطلب على «البيان» . وهكذا ، فان حالة الحركة العمالية ، وليست وحدها وحسب ، بل درجة تطور الصناعة الكبيرة ايضاً ، يمكن قياسهما بدقة كافية في كل بلد بعدد النسخ المتداولة من «البيان» بلغة هذا البلد .

وعليه ، فان الطبعة البولونية الجديدة تدل على مدى تقدم الصناعة البولونية . ولا سبيل الى الشك في ان هذا التقدم قد تحقق في الواقع منذ الطبعة الاخيرة التي صدرت لعشر سنوات خلت . فان المملكة البولونية ، «بولونيا المؤتمر» ، قد غدت المنطقة الصناعية الكبيرة في الامبراطورية الروسية . وبينا تقوم الصناعة الروسية الكبيرة بصورة متفرقة – قسم حول خليج فنلندا ، وآخر في الوسط (موسكو وفلاديمير) ، وثالث على شواطيء البحر الاسود وبحر آزوف ، واقسام اخرى هنا وهناك – انحصرت

الصناعة البولونية في رقعة صغيرة نسبياً من الارض ، وتلازمها في آن واحد المزايا والاضرار التي تلازم مثل هذا التمركز . ولقد قدّر الصناعيون الروس المزاحمون هذه المزايا حق قدرها حين طالبوا بفرض رسوم الحماية الجمركية ضد بولونيا ، بالرغم من شدة رغبتهم في تحويل البولونيين الى روس . اما الاضرار – بالنسبة للصناعيين البولونيين والحكومة الروسية – فانها تبدو بجلاء في سرعة انتشار الافكار الاشتراكية بين العمال البولونيين وفي ازدياد الطلب على «البيان» .

ولكن سرعة تطور الصناعة البولونية هذه ، التي تفوق سرعة تطور الصناعة الروسية ، تشكل ، بدورها ، برهاناً جديداً على حيوية الشعب البولوني التي لا ينضب لها معين ، وضمانة جديدة لانبعاثه الوطني الوشيك . ان انبعاث بولونيا مستقلة قوية لأمر لا يهم البولونيين وحدهم وحسب ، بل يهمنا جميعنا ايضا . ولا يمكن ان يقوم اي تعاون اممي مخلص بين الامم الاوربية الا اذا كانت كل من هذه الامم مستقلة كل الاستقلال في ارضها . ان ثورة ١٨٤٨ ، التي حملت المناضلين البروليتاريين على ان يقوموا ، في آخر المطاف ، تحت راية البروليتاريا ، بعمل البرجوازية ، قد أمنت ايضاً استقلال ايطاليا والمانيا والمجر عبر منفّذي وصاياها ، لويس بونابرت وبيسمارك . ولكن بولونيا التي فعلت للثورة ، منذ ١٧٩٢ ، اكثر من هذه البلدان الثلاثة معاً ، قد تركت لشأنها حين غلبت على امرها في عام ١٨٦٣ تحت قوة روسية تزيدها عشر مرات . ولم تستطع طبقة النبلاء لا ان تحافظ على استقلال بولونيا ، ولا ان تستعيده ؛ اما اليوم ، فان هذا الاستقلال ، بنظر البرجوازية ، هو ، كما يقال ، آخر ما تهتم به ، شيء غير مادي . ومع ذلك ،

فهو ضروري لانسجام التعاون بين الامم الاوربية . ولا يمكن ان يظفر به غير البروليتاريا البولونية الفتية ، وهو مضمون في يدها . ان استقلال بولونيا ضروري لعمال سائر اقطار اوربا بقدر ما هو ضروري للعمال البولونيين انفسهم .

فريدريك انجلس

لندن ، ١٠ شباط (فبراير)
١٨٩٢ .

مقدمة الطبعة الايطالية عام ١٨٩٣

الى القارئ الايطالي

صادف صدور « البيان الشيوعي » ، كما يمكن القول ، في ١٨ آذار (مارس) ١٨٤٨ ، يوم نشوب الثورة في ميلانو والثورة في برلين ، وقد كانت هاتان الثورتان انتفاضتين مسلحتين لامتين تقطنان ، احداهما في وسط القارة الاوربية ، والثانية في وسط بلدان البحر المتوسط ؛ امتين اضعفهما حتى ذاك الانقسام والنزاع الداخلي ، ووقعتا بالتالي تحت نير السيطرة الاجنبية . فبينا ايطاليا تخضع لامبراطور النمسا ، كانت المانيا تنوء فعلاً تحت نير قيصر عموم روسيا ، وان بصورة غير مباشرة . ولكن نتائج ١٨ آذار (مارس) ١٨٤٨ انقذت كلاً من ايطاليا والمانيا من هذه المحنة . واذا كانت هاتان الامتان الكبيرتان قد عادتا ، بهذا الشكل او ذاك ، من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٧١ وتشكلتا في امتين وانتهجتا نهجاً مستقلاً ، فلأن اولئك الذين قمعوا ثورة ١٨٤٨ ، كانوا ، مع ذلك ، كما كان يقول ماركس عادة ، منفذي وصاياها رغم انفهم .

وفي كل مكان كانت هذه الثورة من صنع الطبقة العاملة ؛ فان الطبقة العاملة هي التي بنت المتاريس وبذلت دماءها سخية . ولكن عمال باريس وحدهم ، اذ اسقطوا الحكومة ، انما كانوا قد صمموا العزم على اسقاط النظام البرجوازي ايضاً . غير ان

ادراكهم للتناحر المحتم القائم بين طبقتهم بالذات والبرجوازية ، لم يبلغ حتى ذاك ، لا من حيث تقدم البلاد الاقتصادي ، ولا من حيث تطور جماهير العمال الفرنسيين الفكري ، درجة تمكّن من تغيير الاوضاع الاجتماعية ، ولهذا ، كما يبدو في آخر تحليل ، قطفت الطبقة الرأسمالية ثمار الثورة . وفي البلدان الاخرى – في ايطاليا والمانيا والنمسا – لم يفعل العمال ، منذ البداية ، غير ان رفعوا البرجوازية الى دفة الحكم . ولكن حكم البرجوازية يستحيل ، في اي بلد كان ، دون الاستقلال الوطني . ولهذا كان على ثورة ١٨٤٨ ان تحمل معها في مجراها الوحدة والاستقلال للامم التي كانت محرومة منهما حتى ذاك : ايطاليا والمانيا والمجر . وستتبعها بولونيا بدورها .

وعليه ، اذا لم تكن ثورة ١٨٤٨ ثورة اشتراكية ، الا أنها مهدت السبيل وفسحت المجال للثورة الاشتراكية . وبفضل النهضة التي عرفتها الصناعة الكبيرة في جميع البلدان ، اوجد النظام البرجوازي في كل مكان ، خلال السنوات الخمس والاربعين الاخيرة ، بروليتاريا كثيرة العدد ، متمركزة وقوية . وهكذا اوجد ، كما يقول «البيان» ، حفاري قبره . وبدون اعادة الوحدة والاستقلال لكل امة يستحيل تحقيق اتحاد البروليتاريا من مختلف الامم او تحقيق التعاون السلمي والواعي بين هذه الامم في سبيل الاهداف المشتركة . وبهذا الصدد ، لنتصور فقط لو ان العمال الايطاليين والمجريين والالمان والبولونيين والروس قاموا بعمل اممي مشترك في الاوضاع السياسية التي سبقت عام ١٨٤٨ !

وهكذا ، فان معارك ١٨٤٨ لم تذهب عبثاً . ولا السنوات الخمس والاربعون التي تفصلنا عن هذه المرحلة الثورية مرت بلا اثر . فالثمار بسبيل ان تنضج ، وكل ما اتمناه ان يبشر اصدار

هذه الترجمة الايطالية بانتصار البروليتاريا الايطالية كما بشر اصدار النص الاصلي بالثورة العالمية .

ان «البيان» يقر بالدور الثوري الذي اضطلعت به الرأسمالية في الماضي . ان اول امة رأسمالية كانت ايطاليا . فان نهاية القرون الوسطى الاقطاعية وبزوغ فجر العهد الرأسمالي الحالي قد انطبعا بصورة عملاق ، هي صورة الايطالي دانته ، الذي كان في آن واحد آخر شاعر في القرون الوسطى واول شاعر في الازمنة الحديثة . واليوم ، كما في عام ١٣٠٠ ، يقترب عهد تاريخي جديد . فهل تعطينا ايطاليا دانته جديداً ، يؤذن بساعة ولادة هذا العهد الجديد ، البروليتاري ؟

فريدريك انجلس

لندن ، اول شباط (فبراير) ١٨٩٣ .

البَيَانُ الشُّيُوعِي

هناك شبح يجول في اوربا – هو شبح الشيوعية . وقد اتحدت كل قوى اوربا العجوز في حلف مقدس لملاحقته والتضييق عليه : من البابا والقيصر الى مترنيخ وغيزو ، ومن الراديكاليين في فرنسا الى رجال الشرطة في المانيا .

اي حزب معارض لم يتهمه خصومه القابضون على زمام السلطة بالشيوعية ؟ واي حزب معارض لم يلصق ، بدوره ، تهمة الشيوعية – الدامغة – سواء باقسام المعارضة التي هي اكثر تقدماً منه ، ام باخصامه الرجعيين ؟

ومن كل ذلك نستخلص شيئين :

اولهما : ان الشيوعية اصبحت قوة معترفاً بها من جميع القوى الاوربية .

والثاني : ان الشيوعيين قد آن لهم ان يعرضوا امام العالم بأسره مفهوماتهم واهدافهم وميولهم ، ويدحضوا خرافة شبح الشيوعية ببيان من الحزب نفسه .

ولهذه الغاية اجتمع في لندن شيوعيون من مختلف القوميات ووضعوا «البيان» التالي الذي ينشر باللغات : الانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والفلمنكية والدانماركية .

١
البرجوازيون والبروليتاريون*

ان تاريخ كل مجتمع ** الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات .

* نعني بالبرجوازية طبقة الراسماليين المعاصرين ، مالكي وسائل الانتاج الاجتماعي الذين يستخدمون العمل الماجور . ونعني بالبروليتاريا طبقة العمال الاجراء المعاصرين الذين لا يملكون اية وسائل انتاج فيضطرون بالتالي الى بيع قوة عملهم لكي يعيشوا . (**ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨**) .

** وعلى الاصح التاريخ **المكتوب** : ففي عـام ١٨٤٧ كان تاريخ النظام الاجتماعي الذي سبق كل تاريخ مكتوب ، اي عهد ما قبل التاريخ ، مجهولا تقريباً . وبعدئذ اكتشف هاكستهاوزن في روسيا الملكية المشاعية للارض ، وبرهن مورير ان هذه الملكية المشاعية كانت الاساس الاجتماعي الذي انطلق منه تاريخياً تطور جميع القبائل الجرمانية ، ثم تبين شيئاً فشيئاً ان المشاعة الريفية مع التملك الجماعي للارض كانت في الماضي او تؤلف الآن الشكل الابتدائي للمجتمع في كل مكان من الهند الى ايرلندا . واخيراً اتضح تماماً التنظيم الداخلي لهذا المجتمع الشيوعي الابتدائي بما فيه من ميزات اساسية ، عقب اكتشاف مورغان الذي بين الطبيعة الحقيقية.

فالحر والعبد ، والنبيل والعامي ، والسيد الاقطاعي والقن ، والمعلم * والصانع ، اي بالاختصار المضطهِدون والمضطهَدون ، كانوا في تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهي دائماً اما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع باسره واما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معاً .

وخلال العهود التاريخية السابقة نجد المجتمع في كل مكان تقريباً ، منظماً تنظيماً متسلسلاً ، والاوضاع الاجتماعية على مراتب ودرجات متفاوتة . ففي روما القديمة نجد النبلاء ، ثم الفرسان ، ثم العامة ، ثم الارقاء ؛ في القرون الوسطى نجد الاقطاعيين الاسياد ، ثم الاقطاعيين الاتباع ، ثم المعلمين ، ثم الصناع ، ثم الاقنان ، ونجد تقريباً داخل كل طبقة من هذه الطبقات مراتب ودرجات خاصة .

اما المجتمع البرجوازي الحديث الذي نشأ على انقاض المجتمع الاقطاعي فانه لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات ، بل اقام طبقات جديدة بدلاً من القديمة ، واوجد ظروفاً جديدة للاضطهاد واشكالاً جديدة للنضال .

للعائلة الابتدائية الاولى ومكانها من **القبيلة** . وبانحلال هذه المشاعة الابتدائية يبدأ انقسام المجتمع الى طبقات متمايزة تصبح آخر الامر متعارضة . وقد حاولت تتبع سير هذا الانحلال في كتابي "Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staats", 2. Aufl., Stuttgart, 1886. الطبعة الثانية (راجع **فريدريك انجلس** . اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة .) (**ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية سنة ١٨٨٨ .**)

* المعلم : عضو كامل الحقوق في الحرفة ، معلم في داخل المشغل لا رئيسه . (**ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية سنة ١٨٨٨ .**)

الا ان الذي يميز عصرنا الحاضر ، عصر البرجوازية هو انه جعل التناحر الطبقي اكثر بساطة : فان المجتمع آخذ في الانقسام اكثر فاكثر ، الى معسكرين فسيحين متعارضين ، الى طبقتين كبيرتين ، العداء بينهما مباشر – هما البرجوازية والبروليتاريا .

فمن اقنان القرون الوسطى نشأت عناصر المدن الاولى ؛ ومن هؤلاء السكان المدنيين خرجت العناصر الاولى للبرجوازية .

ثم كان اكتشــاف اميركا والطريق البحري حول شواطئ افريقيا الذي قدم للبرجوازية الصاعدة ميداناً جديداً للعمل . فان اسواق الهند والصين واستعمار اميركا والتبادل مع المستعمرات وتعدد وسائل التبادل وتدفق البضائع بوجه عام ، كل هذه الامور دفعت التجارة والملاحة والصناعة الى الامام بقوة لم تكن معروفة الى ذلك الحين وامنت بذلك نمواً سريعاً للعنصر الثوري في المجتمع الاقطاعي الآخذ في الانحلال .

ولم يعد في استطاعة اسلوب الانتاج الصناعي القديم ، الاقطاعي او الحرفي ، ان يلبي الحاجات التي كانت تزداد مع افتتاح الاسواق الجديدة ، فحلت المانيفاكتورة محله ، واخذت الفئة الصناعية المتوسطة مكان المعلمين ، واختفى تقسيم العمل بين هيئات الحرف المختلفة امام تقسيم العمل في قلب الورشة نفسها .

الا ان الاسواق كانت تتسع وتتعاظم دون انقطاع ، والطلب يزداد باستمرار ، فاصبحت المانيفاكتورة نفسهــا غير وافية بالحاجة . وعندئذ احدث البخار والآلة انقلاباً ثورياً في الانتاج الصناعي ، وحلت الصناعة الكبرى الحديثة محل المانيفاكتورة ، واخلت الفئة الصناعية المتوسطة الميدان لرجال الصناعة اصحاب الملايين ، لقواد الجيوش الصناعية الحقيقية اي لبرجوازيي العصر الحاضر .

وخلقت الصناعة الكبرى السوق العالمية التي هيأها اكتشاف اميركا . وادت السوق العالمية الى توسع التجارة والملاحة وتقدم المواصلات البرية بصورة هائلة . ثم عاد هذا التوسع فاثر بدوره في مجرى الصناعة ، وكلما كانت الصناعة والتجارة والملاحة والسكك الحديدية تتقدم وتنمو ، كانت البرجوازية كذلك تنمو وتتعاظم وتضاعف رساميلها وتدفع الى الوراء جميع الطبقات التي خلفتها القرون الوسطى .

فالبرجوازية المعاصرة نفسها ، كما نرى ، هي نتيجة تطور طويل وسلسلة من الثورات في اساليب الانتاج والتبادل .

وكانت كل مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها البرجوازية يقابلها رقي سياسي مناسب تحرزه هذه الطبقة . فقد كانت البرجوازية في بادئ الامر فئة مضطهدة تحت عسف الاقطاعيين واستبدادهم ، ثم كانت جماعة مسلحة تدير نفسها بنفسها في الكومونة * ، هنا جمهورية مدينية مستقلة ، وهناك فئة ثالثة ضمن المملكة تدفع الجزية للملك ، ثم في عهد المانيفاكتورة كانت

---

* «الكومونة» — هكذا كانت تسمى في فرنسا المدن الناشئة حتى قبل ان تنتزع من مالكيها واسيادها الاقطاعيين الادارة المحلية الذاتية والحقوق السياسية «للفئة الثالثة» . وبوجه عام ، اخذت انكلترا هنا نموذجا لتطور البرجوازية الاقتصادي واخذت فرنسا نموذجا لتطور البرجوازية السياسي . (**ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨**) .

الكومونة — هكذا كان سكان المدن في ايطاليا وفرنسا يسمون مجموعتهم المدينية ، فور انتزاعهم او شرائهم من سادتهم الاقطاعيين حقوقهم الاولية في ادارة ذاتية . (**ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية عام ١٨٩٠**) .

البرجوازية قوة توازن رجحان قوة النبلاء في الممالك ذات الحكم المقيد او المطلق وحجر الزاوية للممالك الكبرى بوجه عام ، وآخراً منذ ان توطدت الصناعة الكبرى وتاسست السوق العالمية استولت البرجوازية على كل السلطة السياسية في الدولة التمثيلية الحديثة . فالحكومة الحديثة ليست سوى لجنة ادارية تدير الشؤون العامة للطبقة البرجوازية باسرها .

لقد لعبت البرجوازية في التاريخ دوراً ثوريا للغاية .

فحيثما استولت البرجوازية على السلطة سحقت تحت اقدامها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والعاطفية ، وحطمت دون رأفة الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الاقطاعية تربط الانسان «بسادته الطبيعيين» ولم تبق على صلة بين الانسان والانسان الا صلة المصلحة الجافة والدفع الجاف «نقداً وعداً» . واغرقت الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في مياه الحساب الجليدية المشبعة بالانانية ، وجعلت من الكرامة الشخصية مجرد قيمة تبادل لا اقل ولا اكثر ، وقضت على الحريات الجمة ، المكتسبة والممنوحة ، وأحلت محلها حرية التجارة **وحدها** ، هذه الحرية القاسية التي لا تشفق ولا ترحم . فهي ، بالاختصار ، استعاضت عن الاستثمار المقنع بالاوهام الدينية والسياسية باستثمار مكشوف شائن مباشر فظيع .

وانتزعت البرجوازية عن المهن والاعمال التي كانت تعتبر الى ذلك العهد محترمة مقدسة ، كل بهائها ورونقها وقداستها ، وادخلت الطبيب ورجل القانون والكاهن والشاعر والعالم في عداد الشغيلة الماجورين في خدمتها .

ومزقت البرجوازية الحجاب العاطفي الذي كان مسدلاً على العلاقات العائلية واحالتها الى علاقات مالية صرف .

وبينت البرجوازية كيف ان الكسل والخمـول في القرون الوسطى كانا التتمة الطبيعية لذلك المظهر الفظ للقوة الجسمانية التي تعجب بها الرجعية ايما اعجاب . والبرجوازية هي اول من اظهر ما يستطيع ابداعه النشاط الانساني ، فقد خلقت عجائب تختلف كل الاختلاف عن اهرامات مصر والاقنية الرومانية والكنائس الغوطية ، وقادت حملات لا تشابـه في شيء تنقلات الشعوب والحروب الصليبية .

ان البرجوازية لا تعيش الا اذا ادخلت تغييرات ثورية مستمرة على ادوات الانتاج ، وبالتالي على علاقات الانتاج ، اي على العلاقات الاجتماعية بأسرها . وبعكس ذلك ، كانت المحافظة على اسلوب الانتاج القديم ، الشرط الاول لحياة الطبقات الصناعية السالفة . فهذا الانقلاب المتتابع في الانتاج ، وهذا التزعزع الدائم في كل العلاقات الاجتماعية ، وهذا التحُرك المستمر وانعدام الاطمئنان على الدوام ، كل ذلك يميز عهد البرجوازية عن كل العهود السالفة ، فان كل العلاقات الاجتماعية التقليدية الجامدة ، وما يحيط بها من مواكب المعتقدات والافكار ، التي كانت قديماً محترمة مقدسة ، تنحل وتندثر ؛ اما التي تحل محلها فتشيخ ويتقادم عهدها قبل ان يصلب عودها . وكل ما كان تقليدياً ثابتاً يطير ويتبدد كالدخان ، وكل ما كان مقدساً يعامل باحتقار وازدراء ويضطر الناس في النهاية الى النظر لظروف معيشتهم وعلاقاتهم المتبادلة باعين يقظة لا تغشاها الاوهام .

وبدافع الحاجة الدائمة الى اسواق جديدة تنطلق البرجوازية الى جميع انحاء الكرة الارضية . فينبغي لها ان تدخل وتتغلغل في كل مكان ، وتوطد دعائمها في كل مكان ، وتقيم الصلات في كل مكان .

وباستثمار السوق العالمية تصبغ البرجوازية الانتاج والاستهلاك في كل الاقطار بصبغة كوسموبوليتية . وتنزع من الصناعة اساسها الوطني ، بين ياس الرجعيين وقنوطهم ، فتنقرض الصناعات الوطنيــة التقليدية القديمة او تصبح على وشك ان تنقرض . وتحل محلها صناعات جديدة يصبح ادخالها وتعميمها مسألة حيوية لكل الامم المتمدنة ، صناعات لم تعد تستعمل المواد الاولية المحلية بل المواد الاولية الآتية من ابعد مناطق العالم ولا تستهلك منتجاتها في داخل البلاد نفسها فحسب بل في جميع انحاء المعمورة . وتتولد ، بدلاً من الحاجات القديمة التي كانت تكفيها المنتجات الوطنية ، حاجات جديدة تتطلب لكفايتهــا منتجات اقصى الاقطار ومختلف المناخات . ومكان الانعزال المحلي والوطني السابق والاكتفاء الذاتي ، تقوم بين الامم صلات شاملة وتصبح الامم متعلقة بعضها ببعض في كل الميادين . وما يقال عن الانتاج المادي ينطبق ايضاً على الانتاج الفكري . فثمار النشاط الفكري عند كل امة تصبح ملكاً مشتركاً لجميع الامم . ويصبح من المستحيل اكثر فاكثر على اية امة ان تظل محصورة في افقها الضيق ومكتفية به . ويتألف من مجموع الآداب القومية والمحلية ادب عالمي .

وتجر البرجوازية الى تيار المدنية كل الامم ، حتى اشدها همجية ، تبعاً لسرعة تحسين جميع ادوات الانتاج وتسهيل وسائل المواصلات الى ما لا حد له . فان رخص منتجاتها هو في يدها بمثابة مدفعية ضخمة تقتحم وتخرق كل ما هنالك من اسوار صينية ، وتنحني امامهــا رؤوس اشد البرابرة عداء وكرهــاً للاجانب . وتجبر البرجوازية كل الامم ، تحت طائلة الموت ، ان تقبل الاسلوب البرجوازي في الانتاج وان تدخل اليها المدنية

المزعومة ، اي ان تصبح برجوازية . فهي ، بالاختصار ، تخلق عالماً على صورتها ومثالها .

واخضعت البرجوازية الريف للمدينة ، فانشأت المدن الكبرى وزادت سكان المدن زيـادة هائلة بالنسبة لسكان الارياف ، وانتزعت بذلك قسماً كبيراً من السكان من بلادة الحياة القروية . وكما انهـا اخضعت الريف للمدينـة ، كذلك اخضعت البلدان الهمجية ونصف الهمجية للبلدان المتمدنة ، الامم الفلاحية – للامم البرجوازية ، الشرق – للغرب .

وتقضي البرجوازية اكثر فاكثر على تبعثر وسائل الانتاج والملكية والسكان . وقد كدست السكان ومركزت وسائل الانتاج وجمعت الملكية في ايدي افراد قلائل . وكانت النتيجة المحتومة لهذه التغييرات نشوء التمركز السياسي . فالمقاطعات المستقلة التي كانت العلاقات بينها تكاد تكون علاقات اتحادية ، والتي كانت لها مصالح وقوانين وحكومات وتعرفات جمركية مختلفة ، انما جمعت كلهـا ودمجت في امة **واحدة** مع حكومة **واحدة** ، وقوانين **واحدة** ، ومصلحة قوميـة طبقية **واحدة** ، وراء حاجز جمركي **واحد** .

وخلقت البرجوازية ، منذ تسلطها الذي لم يكد يمضي عليه قرن واحد ، قوى منتجة تفوق في عددها وعظمتها كل ما صنعته الاجيال السالفة مجتمعة . فان اخضاع قوى الطبيعة ، واستخدام الآلات وتطبيق الكيمياء في الصناعة والزراعة ، ثم الملاحة البخارية والسكك الحديدية والتلغراف الكهربائي ، وهذه القارات الكاملة التي كانت بوراً فاخصبت ، وهذه الانهار والترع التي اصلحت وراحت البواخر تمخر عبابها ، وهذه الشعوب التي كانما قذفتها من بطن الارض قوة سحرية ، – اي عصر سالف واي جيل مضى

كان يحلم بان مثل هذه القوى المنتجة العظيمة كامنة في قلب العمل الاجتماعي !

وهكذا تبين لنا ان وسائل الانتاج والتبادل التي قامت البرجوازية على اساسها ، نشات داخل المجتمع الاقطاعي ، ثم ، لما بلغت هذه الوسائل حداً معيناً من التقدم والرقي ، لم تعد الظروف التي كان المجتمع الاقطاعي ينتج ويبادل ضمنها ، لم يعد التنظيم الاقطاعي للزراعة والصناعة ، اي بكلمة واحدة ، لم يعد النظام الاقطاعي للملكية يتفق مع القوى المنتجة في ملء تقدمها ، بل اصبح يعرقل الانتاج عوضاً عن تطويره ، ثم تحول الى قيود تكبله ، واصبح من الواجب تحطيم هذه القيود ، فحطمت .

وحلت محلها المزاحمة الحرة ، يرافقها نظام اجتماعي وسياسي يناسبها ، وقامت معها السيطرة الاقتصادية والسياسية للطبقة البرجوازية .

وتجري الآن امام اعيننا حركة مماثلة لهذه . فان علاقات الانتاج والتبادل البرجوازية وعلاقات الملكية البرجوازية ، اي كل هذا المجتمع البرجوازي الحديث الذي خلق وسائل الانتاج والتبادل العظيمة الهائلة اصبح يشبه الساحر الذي لا يدري كيف يقمع ويخضع القوى الجهنمية التي اطلقها من عقالها بتعاويذه . فليس تاريخ الصناعة والتجارة منذ بضع عشرات السنين سوى تاريخ تمرد القوى المنتجة الحديثة على علاقات الانتاج الحديثة ، على علاقات الملكية الذي يقوم عليه وجود البرجوازية وسيطرتها . ويكفي ذكر الازمات التجارية التي تقع بصورة دورية وتهدد اكثر فاكثر وجود المجتمع البرجوازي بأسره . فكل ازمة من الازمات لا تكتفي باتلاف كمية من المنتجات المصنوعة الجاهزة فقط ، بل تقضي ايضاً على قسم كبير من القوى المنتجة القائمة

نفسها . وينقض على المجتمع وباء لم يكن ليعتبر في جميع العهود السابقة سوى خرافة غير معقولة ، – هذا الوباء ، هـو فيض الانتاج . فيرتمي المجتمع فجاة في حالة همجية حتى ليخيل للمرء ان هنالك مجاعة او حرباً طاحنة تقطع عن المجتمع وسائل معيشته وموارد رزقه ، وكانما الصناعة والتجارة اتى عليهما الخراب والدمار . ولم ذلك ؟ ذلك لانه اصبح في المجتمع شيء كثير من المدنية ، وكثير من وسائل العيش ، وكثير من الصناعة والتجارة . ولم تعد القـوى المنتجة الموجـودة تحت تصرف المجتمع تساعد على نمو علاقات الملكية البرجوازية وتقدمها ، بل بالعكس اصبحت هذه القوى عظيمـة جداً بالنسبـة لهذه العلاقات البرجوازية التي اضحت عائقاً في سبيل تقدمها وتوسعها . وكلما شرعت القوى المنتجة تتغلب على هذا العائق رمت المجتمع البرجوازي باسره في الاضطراب والاختلال وهددت وجود الملكية البرجوازية بالانهيار . لقد اصبحت العلاقات البرجوازية اضيق من ان تستوعب الثروات الناشئة في قلبها . فكيف تتغلب البرجوازية على هذه الازمات ؟ تتغلب بالتدمير القسري لمقـدار من القـوى المنتجة من جهة ، وبالاستيلاء على اسواق جديدة وزيادة استثمار الاسواق القديمة من جهة اخرى . بماذا اذن ؟ بتحضير ازمات اعم واهول ، وتقليل الوسائل التي يمكن تلافي هذه الازمات بها .

فالاسلحة التي استخدمتها البرجوازية للقضاء على الاقطاعية ترتد اليوم الى صدر البرجوازية نفسها .

ولكن البرجوازية لم تصنع فقط الاسلحة التي سوف تقتلها ، بل اخرجت ايضاً الرجال الذين سيستعملون هذه الاسلحة : وهم العمال العصريون ، او **البروليتاريون** .

تبعاً لتطور البرجوازية ، اي لتطور الرأسمال ، تتطور

البروليتاريا ، طبقة العمال العصريين الذين لا يعيشون الا اذا وجدوا عملاً ، ولا يجدونه الا اذا كان عملهم هذا ينمي الرأسمال . وهؤلاء العمال المجبرون على بيع انفسهم بالمفرق هم بضاعة ، هم مادة تجارية كغيرها ، يعانون كل تقلبات المزاحمة وكل تموجات السوق .

ونتيجة لاتساع استعمال الآلات ولتقسيم العمل ، فقد عمل البروليتاريين كل صبغة شخصية ، واضاع بذلك كل جاذب ، واصبح العامل عبارة عن ملحق بسيط للآلة لا يطلب منه الا القيام بعملية بسيطة رتيبة سهلة التلقين . وبذلك اصبح ما يكلفه العامل اليوم هو تقريباً ما تكلفه وسائل المعيشة اللازمة للاحتفاظ بحياته وتخليد نوعه . الا ان ثمن العمل* كثمن كل بضاعة يساوي تكاليف انتاجه . اذن كلما اصبح العمل باعثا على الاشمئزاز ، هبطت الاجور . وفوق ذلك ينمو ، مع استخدام الآلة وتقسيم العمل ، مجموع الجهد المصروف في العمل ، اما بازدياد ساعات العمل ، واما بزيادة الجهد المطلوب في مدة معينة من الزمن ، او بتعاظم سرعة حركة الآلات ، الخ ..

ان الصناعة الحديثة حولت ورشة المعلم الحرفي البطريركي الصغيرة الى مصنع كبير للصناعي الرأسمالي ، واخذت جماهير العمال المتكدسين في هذا المصنع يخضعون لتنظيم اشبه بالتنظيم العسكري . فهم جنود الصناعة البسيطون الخاضعون لسلسلة كاملة من كبار الضباط وصغارهم كأنهم في جيش عسكري . وهم

---

* وقد بين ماركس فيما بعد ان العامل لا يبيع عمله ، بل قوة عمله . راجع بهذا الصدد مقدمة انجلس لكتاب ماركس «العمل الماجور والراسمال» . — **الناشر** .

ليسوا عبيد الطبقة البرجوازية والدولة البرجوازية فحسب ، بل هم في كل يوم وكل ساعة عبيد للآلة وللمناظر وللبرجوازي ، صاحب المعمل نفسه بوجه خاص . وكلما تبين بصراحة ان الربح هو الهدف الوحيد لكل هذا الاستبداد ، ازداد هذا الاستبداد بشاعة وقبحاً واثارة للسخط والحفيظة .

وكلما قل تطلب العمل اليدوي للمهارة والقوة ، اي كلما ترقت الصناعة الحديثة ، استعيض عن عمل الرجل بعمل النساء والاولاد . ولا تبقى للفروق في الجنس او السن اهمية اجتماعية بالنسبة للطبقة العاملة ، فليس ثمة سوى ادوات للعمل تتغير كلفتها حسب العمر والجنس .

ومتى انتهى العامل من مقاساة استثمار صاحب المعمل ، وحسبت له اجرته ، اصبح فريسة لعناصر اخرى من البرجوازية : مالك البيت والبائع بالمفرق والمرابي ، الخ ..

اما صغار الصناعيين والتجار واصحاب الايرادات والحرفيون والفلاحون ، اي الدرجات السفلى من الطبقة المتوسطة ، فيتدهورون الى صفوف البروليتاريا ، وذلك لان رساميلهم الضعيفة لا تسمح لهم باستعمال اساليب الصناعة الكبرى ، فينحدرون ويهلكون في مزاحمتهم لكبار الرأسماليين ، ولان مهارتهم الفنية تفقد قيمتها واهميتها تجاه اساليب الانتاج الجديدة ، وعلى هذه الصورة تتجند البروليتاريا من كل طبقات السكان .

وتمر البروليتاريا في تطورها بمراحل مختلفة ، ويبدأ نضالها ضد البرجوازية منذ نشأتها .

يقوم بالنضال ، بادئ الامر ، عمال فرادى منعزلون ، ثم يتكاتف عمال معمل واحد ، ثم يضم النضال كل عمال الفرع الصناعي الواحد في محلة واحدة ضد البرجوازي الذي يستثمرهم

بصورة مباشرة . ولا يكتفي العمال بتوجيه ضرباتهم الى علاقات الانتاج البرجوازية ، بل يوجهونها ايضاً الى ادوات الانتاج نفسها ، فيتلفون البضائع الاجنبية التي تزاحمهم ، ويحطمون الآلات ويحرقون المصانع ويسعون الى استعادة الوضع المضاع الذي كان يتمتع به العامل في القرون الوسطى باستعمال القوة .

وفي هذه المرحلة تكون العمال عبارة عن جماهير مبعثرة في البلاد تفتتها المزاحمة . واذا اتفق ان ضم العمال صفوفهم في جموع متراصة ، فلا يكون ذلك في هذا الدور نتيجة لوحدتهم الخاصة بهم ، بل نتيجة لوحدة البرجوازية التي ينبغي لها ، لكي تبلغ مراميها السياسية ، ان تحرك البروليتاريا باسرها ، وهي ما تزال تملك القدرة على ذلك . وفي هذه المرحلة لا يحارب البروليتاريون اعداءهم بل اعداء اعدائهم ، اي بقايا الحكم الملكي المطلق وكبار اصحاب الاراضي والبرجوازيين غير الصناعيين وصغار البرجوازيين . وهكذا تكون الحركة التاريخية كلها متمركزة في ايدي البرجوازية ، وكل انتصار في هذه الظروف ، يكون انتصاراً للبرجوازية .

الا ان الصناعة ، عندما تتقدم وتنمو ، لا تضخم عدد البروليتاريين فقط ، بل تمركزهم ايضاً وتضمهم في جماهير اوسع واعظم ، فتنمو قدرتهم ويدركون مدى هذه القوة . وتتساوى يوماً فيوماً مصالح البروليتاريين وظروف معيشتهم ، تبعاً لما تقوم به الآلة من محو كل فرق في العمل ومن انزال الاجرة في كل مكان تقريباً الى مستوى متماثل في انخفاضه . ونظراً لنمو التزاحم فيما بين البرجوازيين ، وما ينتج عن ذلك من الازمات التجارية ، تصبح اجور العمال يوماً بعد يوم اكثر تقلباً واقل استقراراً ؛ ويؤدي استمرار الاتقان في صنع الآلات بسرعة متزايدة

على الدوام الى جعل حالة العمال اكثر فاكثر عديمة الاستقرار ، غير مضمونة ؛ وتصطبغ المصادمات الفردية بين العامل والبرجوازي ، شيئاً فشيئاً ، بصبغة المصادمات بين طبقتين . ويبدأ العمال في تأليف الجمعيات ضد البرجوازيين من اجل الدفاع عن اجورهم . ويتقدمون في هذا السبيل ويؤلفون جمعيات دائمة لكي يؤمنوا وسائل العيش لانفسهم في حال وقوع اصطدامات ؛ وهنا وهناك ينفجر النضال بشكل انتفاضة .

وقد ينتصر العمال احياناً ، ولكن انتصارهم يكون قصير الامد . والنتيجة الحقيقية لنضالهم هي هذا التضامن المتعاظم بين جميع الشغيلة ، لا ذلك النجاح المباشر الوقتي . والذي يسهل تقدم هذا التضامن واشتداده هو نمو وسائل المواصلات التي تخلقها الصناعة الكبرى والتي تسمح للعمال ، في مختلف الجهات والمناطق ، باتصال بعضهم ببعض . ويكفي هذا الاتصال بين العمال لتحويل النضالات المحلية المتعددة ذات الصبغة المتماثلة في كل مكان ، الى نضال طبقي واحد يشمل القطر بأسره . غير ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي . والاتحاد الذي كان سكان المدن في القرون الوسطى يقضون قروناً لتحقيقه نظراً لطرقهم الوعرة الابتدائية ، تحققه البروليتاريا الحديثة خلال بضع سنين فقط بفضل السكك الحديدية .

الا ان انتظام البروليتاريا في طبقة ، وبالتالي – في حزب سياسي ، يحطمه بصورة مستمرة تزاحم العمال فيما بينهم . ولكن هذا الانتظام لا يختفي حتى يعود فيولد من جديد وهو دائماً اشد قوة واكثر صلابة واقوى بأساً ، ويستفيد من انقسامات البرجوازيين فيما بينهم ، فيجبرهم على جعل بعض مصالح الطبقة

العاملة مشروعة معترفاً بها قانونياً ، مثل قانون جعل مدة العمل اليومي عشر ساعات في انكلترا .

ان المصادمات التي تقع في المجتمع القديم تساعد بصورة عامة ، وبشتى الصور والاشكال ، على تطور البروليتاريا وتقدمها . فان البرجوازية تعيش في حالة حرب مستمرة ، في بادئ الامر ، ضد الارستقراطية ، ثم ضد تلك الجماعات من البرجوازية نفسها التي تتناقض مصالحها مع رقي الصناعة ، وبصورة دائمة ضد برجوازية الاقطار الاجنبية جميعاً . وترى البرجوازية نفسها مضطرة ، في كل ميادين النضال هذه ، الى الالتجاء للبروليتاريا وطلب معونتها ، فتجرها بذلك الى مضمار الحركة السياسية . وهكذا تقدم البرجوازية بيديها الى البروليتاريين عناصر ثقافتها ، اي انها تسلمهم السلاح الذي سيحاربونها به .

اضف الى كل ذلك ما رأيناه من ان جماعات كاملة من الطبقة الحاكمة تتدهور ، بنتيجة تطور الصناعة وتقدمها ، الى طبقة البروليتاريا ، او تكون على الاقل مهددة في ظروف معيشتها وشروط حياتها . فهذه الجماعات تحمل كذلك الى البروليتاريا عدداً عديداً من عناصر الثقافة .

واخيراً ، عندما يقترب نضال الطبقات من الساعة الحاسمة الفاصلة ، يتخذ انحلال الطبقة الحاكمة والمجتمع القديم بأسره طابعاً يبلغ من حدته وعنفه ان جزءاً صغيراً من هذه الطبقة الحاكمة نفسها ينفصل عنها وينضم الى الطبقة الثورية ، الى الطبقة التي تحمل في قلبها المستقبل . وكما انتقل فيما مضى قسم من النبلاء الى جانب البرجوازية ، كذلك في ايامنا هذه ينتقل قسم من البرجوازية الى جانب البروليتاريا ، وخصوصاً القسم المؤلف

من البرجوازيين المفكرين الذين تمكنوا من الاحاطة بمجموع الحركة التاريخية وفهمها بصورة نظرية .

وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن امام البرجوازية وجهاً لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقاً ، هي البروليتاريا . فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي ، على العكس من ذلك ، اخص منتجات هذه الصناعة .

ان الفئات المتوسطة ، من صغار الصناعيين والباعة بالمفرق والحرفيين والفلاحين ، تحارب البرجوازية من اجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة . فهي ليست اذن ثورية ، بل محافظة ، واكثر من محافظة ايضاً ، انها رجعية ، فهي تطلب ان يرجع التاريخ القهقرى ويسير دولاب التطور الى الوراء . واذا كنا نراها تقوم باعمال ثورية ، فما ذلك الا لخوفها من ان تتدهور الى صفوف البروليتاريا ، وهي اذ ذاك تدافع عن مصالحها المقبلة ، لا عن مصالحها الحالية ، وهي تتخلى عن وجهة نظرها الخاصة لتتخذ لنفسها وجهة نظر البروليتاريا .

اما رعاع المدن ، هذه الحشرات الجامدة ، حثالة ادنى جماعات المجتمع القديم ، فقد تجرهم ثورة البروليتاريا الى الحركة ، ولكن ظروف معيشتهم واوضاع حياتهم تجعلهم اكثر استعداداً لبيع انفسهم الى المكائد الرجعية .

ان ظروف معيشة المجتمع القديم قد اضمحلت ولم يبق لها اثر في ظروف معيشة البروليتاريا . فالبروليتاري محروم من الملكية ، وليست هناك اية صفة مشتركة بين علاقاته العائلية وعلاقات العائلة البرجوازية . والعمل الصناعي الحديث الذي يضم في طياته استعباد العامل من قبل الرأسمال ، قد جرد العامل ،

سواء في انكلترا او فرنسا او اميركا او المانيا من كل صبغة وطنية . وما القوانين والقواعد الاخلاقية والاديان بالنسبة اليه الا اوهام برجوازية تستتر خلفها مصالح برجوازية .

ان كل الطبقات التي كانت تستولي على السلطة فيما مضى ، كانت تحاول تثبيت اوضاعها المكتسبة باخضاع المجتمع باسره لاسلوب التملك الخاص بها . ولا تستطيع البروليتاريا الاستيلاء على القوى المنتجة الاجتماعية الا بهدم اسلوب التملك الخاص بها حاليا ، وبالتالي بهدم كل اسلوب للتملك مرعي الاجراء الى يومنا هذا . ولا تملك البروليتاريا شيئاً خاصاً بها حتى تصونه وتحميه ، فعليها اذن ان تهدم كل ما كان يحمي ويضمن الملكية الخاصة .

وكانت الحركات الى يومنا هذا كلها حركات قامت بها اقليات او جرت في مصلحة الاقليات . اما حركة البروليتاريا فهي حركة قائمة بذاتها للاكثرية الساحقة في سبيل مصلحة الاكثرية الساحقة . والبروليتاريا ، التي هي طبقة سفلى في المجتمع الحالي ، لا يمكنها ان تهب وتقوم عودها الا اذا نسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتي تؤلف المجتمع الرسمي .

وبالرغم من ان نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ليس في اساسه نضالاً وطنيا ، فهو مع ذلك يتخذ هذا الشكل في بادئ الامر . اذ لا حاجة للقول ان على البروليتاريا في كل قطر من الاقطار ان تقضي قبل كل شيء على برجوازيتها الخاصة .

اننا ، اذ وصفنا مراحل تطور البروليتاريا ، بخطوطها الكبرى ، قد اوردنا في الوقت نفسه تاريخ الحرب الاهلية ، المستترة الى حد ما والتي لا تنفك تأكل المجتمع وتنخره حتى الساعة التي تنفجر فيها هذه الحرب بشكل ثورة علنية ، وتؤسس البروليتاريا سيطرتها بعد القضاء على البرجوازية بالشدة والعنف .

ان كل المجتمعات السالفة قامت ، كما رأينا ، على التناحر بين الطبقات المضطهِدة والمضطهَدة . ولكن لاجل اضطهاد طبقة ما ينبغي على الاقل ان يكون في الاستطاعة تأمين شروط معيشة لها تمكنها من الحياة تحت وطاة الاستعباد والاضطهاد . فقد كان القن في عهد القنانة يتوصل لان يصبح عضواً في احدى الكومونات ، وكذلك البرجوازي الصغير (Kleinbürger) حتى تحت اشد انواع الاستبداد الاقطاعي ، كان يتوصل الى مرتبة البرجوازي . اما العامل في عصرنا فهو على عكس ذلك تماماً ، فعوضاً عن ان يرتفع ويرقى مع رقي الصناعة ، لا ينفك يهوى في انحطاط ، الى ان ينزل الى مستوى هو ادنى واحط من شروط حياة طبقته نفسها . ويسقط الشغيل في مهاوي الفاقة ، ويزداد الفقر والاملاق بسرعة تفوق سرعة ازدياد السكان ونمو الثروة . فمن البين اذن ان البرجوازية لا يبقى بوسعها ان تقوم بدورها كطبقة حاكمة وان تفرض على المجتمع شروط حياة طبقتها واوضاع حياتها كقانون اعلى . انها لم تعد تستطيع ان تحكم ، اذ لم يعد في امكانها ان تؤمن لعبدها حتى معيشة تتلاءم مع عبوديته ، وهي مجبرة على ان تدعه ينحط الى درجة يصبح معها من واجبها هي ان تطعمه بدلاً من ان تطعم نفسها بواسطته . فلم يعد من الممكن ان يحيا المجتمع تحت سيادتها وسيطرتها ، اي بعبارة اخرى اصبح وجود البرجوازية منذ الآن فصاعدا غير متلائم مع وجود المجتمع .

ان الشرط الاساسي للوجود والسيادة بالنسبة للطبقة البرجوازية هو تكديس الثروة في ايدي بعض الافراد وتكوين الرأسمال وانماؤه . وشرط وجود الرأسمال هو العمل الماجور . والعمل الماجور يرتكز ، بصورة مطلقة ، على تزاحم العمال فيما

بينهم . ورقي الصناعة الذي ليست البرجوازية الا خادماً منفعلاً له ومقسوراً على خدمته يستعيض عن انعزال العمال الناتج عن تزاحمهم ، باتحاد ثوري بواسطة الجمعيات . وهكذا ينتزع تقدم الصناعة الكبرى من تحت اقدام البرجوازيـــة نفس الاسس التي شادت عليها نظام انتاجها وتملكها . ان البرجوازية تنتج قبل كل شيء حفاري قبرها ، فسقوطها وانتصار البروليتاريا كلاهما امر محتوم لا مناص منه .

٢

البروليتاريون والشيوعيون

ما هو موقف الشيوعيين بالنسبة الى مجموع البروليتاريا ؟

ان الشيوعيين لا يؤلفون حزباً خاصاً معارضاً لاحزاب العمال الاخرى .

وليست لهم مصالح منفصلة عن مصالح البروليتاريا بمجموعها .

وهم لا يدعون الى مبادىء خاصة يريدون تكييف الحركة البروليتارية في قالبها .

ان الشيوعيين لا يتميزون عن بقية الاحزاب البروليتارية الا في نقطتين هما :

١ — في النضالات التي يقوم بها البروليتاريون من مختلف الامم ، يضع الشيوعيون في المقدمة ويبرزون المصالح المستقلة عن الجنسية والعامة الشاملة لمجموع البروليتاريا .

٢ — في مختلف مراحل التطور التي يمر بها النضال بين البروليتاريين والبرجوازيين يمثل الشيوعيون دائماً ، المصالح العامة للحركة بكاملها .

فالشيوعيون هم اذن ، من الناحية العملية ، احزم فريق من احزاب العمال في جميع البلدان واشدها عزيمة ، الفريق الذي

يدفع الى الامام كل الفرق الاخرى . وهم من الوجهة النظرية يمتازون عن بقية البروليتاريين بادراك واضح لظروف حركة البروليتاريا وسيرها ونتائجها العامة .

اما هدف الشيوعيين المباشر فهو الهدف نفسه الذي ترمي اليه جميع الاحزاب البروليتارية ، اي : تنظيم البروليتاريين في طبقة وهدم سيادة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية .

ومفهومات الشيوعيين النظرية لا ترتكز مطلقاً على افكار او مبادئ اكتشفها او اخترعها مصلح من مصلحي العالم .

فما هي سوى التعبير الاجمالي عن الظروف الواقعية لنضال طبقي موجود ولحركة تاريخية تتطور من ذاتها امام اعيننا . وليس هدم علاقات الملكية القائمة هوالطابع المميز للشيوعية .

فقد كابدت علاقات الملكية تغييرات متتابعة وتقلبات تاريخية مستمرة .

فالثورة الفرنسية مثلاً قضت على الملكية الاقطاعية لمصلحة الملكية البرجوازية .

فليس الذي يميز الشيوعية هو محو الملكية بصورة عامة ، بل هو محو الملكية البرجوازية .

غير ان الملكية الخاصة في الوقت الحاضر ، اي الملكية البرجوازية ، هي آخر واكمل تعبير عن اسلوب الانتاج والتملك ، المبني على تناقضات الطبقات واستثمار بعض الناس لبعضهم الآخر .

وعلى هذا ، فباستطاعة الشيوعيين ان يلخصوا نظريتهم بهذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة وهي : القضاء على الملكية الخاصة .

ويأخذون علينا ، نحن الشيوعيين ، اننا نريد محو الملكية المكتسبة شخصياً بالعمل ، هذه الملكية التي يصرحون انها اساس كل حرية وكل نشاط وكل استقلال فردي .

الملكية ، ثمرة العمل والكفاءة ! هل يعنون بذلك هذا الشكل من الملكية ، السابق للملكية البرجوازية ، أي ملكية البرجوازي الصغير والفلاح الصغير ؟ ان كانت هذه هي الملكية التي يعنونها ، فليس لنا ، نحن الشيوعيين ، ان نمحوها ونزيلها ، لان رقي الصناعة قد محاها او يمحوها يوماً بعد يوم .

ام تراهم يعنون الملكية الخاصة البرجوازية الحالية ؟

ولكن هل يخلق العمل الماجور ملكية للبروليتاري ؟ كلا ! بل هو يخلق الرأسمال ، اي الملكية التي تستثمر العمل الماجور ، والتي لا يمكن ان تنمو الا بشرط ان تنتج ايضاً وايضاً عملاً ماجوراً لتستثمره من جديد . فالملكية في شكلها الحالي تتحرك بين هذين الطرفين المتناقضين : الرأسمال والعمل الماجور . فلنبحث كلاً من طرفي هذا التناقض .

ان كون المرء رأسمالياً يعني انه لا يشغل مركزاً شخصياً فحسب ، بل كذلك مركزاً اجتماعياً في الانتاج . الرأسمال هو نتاج جماعي ، فهو لا يمكن ان يدار ويشغل الا بجهود متضافرة يبذلها كثير من الافراد ، بل هو في آخر تحليل لا يدار ويشغل الا بالجهود المشتركة لجميع اعضاء المجتمع .

فليس الرأسمال قوة شخصية اذن ، بل هو قوة اجتماعية .

وعليه ، اذا تحول الرأسمال الى ملك مشترك يخص جميع اعضاء المجتمع ، فلا يكون معنى ذلك ان ثمة ملكية شخصية قد تحولت الى ملكية اجتماعية ، بل كل ما هنالك ان الصفة

الاجتماعية للملكية تكون قد تغيرت ، أي تفقد الملكية صفتها الطبقية .

ولننتقل الآن الى العمل الماجور .

ان الثمن المتوسط الذي يشترى به العمل الماجور ، هو الحد الادنى للاجرة ، أي مجموع وسائل المعيشة اللازمة للعامل لكي يعيش كعامل . وينتج من ذلك ان ما يستملكه العامل الماجور بجهده وكده لا يساوي الا ما يلزمه بالضرورة للاحتفاظ بوجوده الهزيل وللابقاء على نوعه . فنحن لا نريد ابداً ولا بشكل من الاشكال ، محو هذا التملك الشخصي لمنتجات العمل ، هذا التملك الضروري لحفظ الحياة البشرية وتكثيرها ، فان هذا التملك لا يترك اقل فائض يتسلط المرء بواسطته على عمل غيره . اما الذي نريده فهو محو اسلوب التملك الكئيب المظلم الذي يجعل العامل لا يحيا الا لاجل انماء الرأسمال ، ولا يحيا الا بمقدار ما تتطلبه مصالح الطبقة الحاكمة فقط .

في المجتمع البرجوازي ليس العمل الحي الا وسيلة لانماء العمل المتراكم . اما في المجتمع الشيوعي فليس العمل المتراكم الا وسيلة لتفريج حياة الشغيلة واغنائها وترفيهها .

وهكذا ، ففي المجتمع البرجوازي : الماضي يسيطر على الحاضر . وفي المجتمع الشيوعي : الحاضر يسيطر على الماضي . في المجتمع البرجوازي الرأسمال مستقل وشخصي في حين ان الفرد الذي يعمل تابع لغيره ومحروم من شخصيته .

فهدم هذه الحالة تعيبه وتشجبه البرجوازية وتزعم انه هدم للشخصية والحرية ! وهي على حق فيما تزعم ، لان هذا الهدم هو في الحقيقة هدم للشخصية البرجوازية وللاستقلال البرجوازي وللحرية البرجوازية .

انهم يعنون بالحرية ، في الظروف الحالية للانتاج البرجوازي ، حرية التجارة ، حرية الشراء والبيع .

ولكن اذا تلاشت التجارة ، تلاشت التجارة الحرة ايضاً . غير ان جميع الكلمات الضخمة التي ترددها برجوازيتنا عن حرية التجارة وكل تصلفها وانتفاخها وغطرستها حول الحريات ، لا معنى لها الا اذا قوبلت بالتجارة المقيدة والبرجوازي المستعبد في القرون الوسطى ، ولا يبقى لها اقل معنى او دلالة عندما تدور المسألة حول ما ترمي اليه الشيوعية من ازالة التجارة وعلاقات الانتاج البرجوازية والبرجوازية نفسها .

يهولكم ويروعكم اننا نريد محو الملكية الخاصة ! ولكن في مجتمعكم هذا ذاته تسعة اعشار اعضائه محرومون من اية ملكية خاصـــة ، واذا كانت هذه الملكية موجودة فلأن هؤلاء الاعشار التسعة محرومة منها . فانتم تأخذون علينا اذن اننا نريد محو شكل للملكية ، شرط وجوده ان تكون الاكثرية الساحقة محرومة من كل ملكية .

اي بكلمة ، تتهموننا باننا نريد محو ملكيتكم انتم . وحقاً هذا الذي نريد .

وما ان يغدو من المستحيل ان يتحول العمل الى رأسمال ونقد وريع عقاري ، اي الى قوة اجتماعية قابلة للاحتكار ، او بعبارة اخرى ، ما ان يصبح من المستحيل ان تتحول الملكية الفردية الى ملكية برجوازية ، حتى تزأرون وتصيحون بان الفرد قد امحى وابيد .

فانتم تعترفون اذن انكم ، عندما تتكلمون عن الفرد ، لا تعنون بكلامكم الا البرجوازي ، اي المالك البرجوازي . وبالفعل ان هذا الفرد يجب ان يباد ويمحى نهائياً .

ان الشيوعيـــة لا تسلب احداً القدرة على تملك منتجات اجتماعية ، انها لا تنزع سوى القدرة على استعباد عمل الغير بواسطة هذا التملك .

ويعترضون علينا بقولهم : ان محو الملكية الخاصة يؤدي الى توقف كل نشاط وانتشار كسل يعمّ العالم بأسره .

ولو كان ذلك كذلك ، لكان المجتمع البرجوازي قد سقط منذ امد طويل في بؤرة الكسل والخمول ، ما دام الذين يشتغلون في هذا المجتمع لا يمتلكون ، والذين يمتلكون لا يشتغلون . وهكذا يؤول كل اعتراضهم الى تكرار ممل للحقيقة التالية وهي : حيث لا يبقي الرأسمال ، لا يبقى عمل مأجور .

وجميع التهم الموجهة الى الاسلوب الشيوعي في انتاج واستملاك المنتجات المادية وجهت الى انتاج واستملاك منتجات الفكر ايضاً ، فكمـا ان زوال الملكية الطبقية يعـادل بالنسبة للبرجوازي زوال كل انتاج ، فكذلك زوال الثقافة الطبقية يعني بالنسبة اليه زوال كل ثقافة .

غير ان هذه الثقافـــة التي يبكى البرجوازي وينتحب على فقدها ، ما هي عند الاكثرية الساحقة الا تدريباً على عمل مثل الآلة .

ولكن لا فائدة من مماحكتكم لنا ، اذا كان قصدكم من ذلك ان تطبقوا على محـــو الملكية البرجوازية معيـار مفهوماتكـم البرجوازية عن الحرية والثقافة والحق ، الخ .. ان افكاركم نفسها ناتجة عن علاقات الانتاج البرجوازية وعلاقات الملكية البرجوازية ، كما ان الحق لديكم ليس الا ارادة طبقتكم مخطوطة بشكل قانون . هذه الارادة التي تحدد فحواها ومبناها ظروف الحياة المادية لطبقتكم .

ان مفهوماتكم المغرضة تدفعكم الى جعل العلاقات الاجتماعية المتولدة عن اسلوبكم في الانتاج وعلاقات الملكية – هذه العلاقات التاريخية التي يمحوها سير الانتاج نفسه – قوانين طبيعية وعقلية ، خالدة ابدية . ولستم منفردين بهذه المفهومات ، بل سبقتكم اليها كل الطبقات الحاكمة التي زالت اليوم . ولكن ما تقبلونه وتقرونه بالنسبة للملكية القديمة ، ما تقبلونه وتقرونه فيما يتعلق بالملكية الاقطاعية ، لم يعد في امكانكم ان تقبلوه بالنسبة للملكية البرجوازية .

هدم العائلة ! حتى اشد الراديكاليين تطرفاً تسخطهم نية الشيوعيين هذه ، الفاضحة المرذولة .

ولكن ، على اية قاعدة ترتكز العائلة البرجوازية في الوقت الحاضر ؟ انها ترتكز على الرأسمال والربح الفردي . وهي ، بكامل كيانها وتمام بنيانها ، ليست موجودة الا عند البرجوازية فقط . ولكن تتمتها هي الالغاء القسري للعائلة بالنسبه للبروليتاري ، ثم البغاء العلني .

ان العائلة البرجوازية تضمحل طبعاً باضمحلال تتمتها هذه . وكلتاهما ، العائلة البرجوازية وتتمتها ، تتلاشيان بتلاشي الرأسمال .

أتأخذون علينا اننا نريد القضاء على استثمار الابناء من قبل اهلهم وذويهم ؟ ان كان ذلك فنحن نعترف بهذه الجريمة .

وتزعمون اننا نحطم اقدس الاواصر والصلات بابدالنا التربية في العائلة بالتربية في المجتمع .

ولكن تربيتكم انتم ، أليس المجتمع ايضاً هو الذي يحددها ؟ أليست تحددها العلاقات الاجتماعية التي تربون فيها اولادكم ؟ الا يحددها تدخل المجتمع بصورة مباشرة او غير مباشرة بواسطة

المدرسة ، الخ . ؟ ان تدخل المجتمع في التربية ليس من ابتكار الشيوعيين . فكل ما يفعله الشيوعيون انهم يغيرون طبيعة التربية ويحورون صفتها وشكلها وينتزعونها من تأثير الطبقة الحاكمة ونفوذها .

ان تشدق البرجوازيين الفارغ عن العائلة والتربية وعن الاواصر والصلات العذبة التي تربط الولد باهله ، اصبحت تقزّ منه النفس اكثر فاكثر ، اذ ان الصناعة الكبرى تهدم كل صلة عائلية عند البروليتاريا وتحول الاولاد الى مواد تجارية بسيطة وادوات عمل صرف .

والآن اسمعوا البرجوازية تصيح من كل جانب : «انكم ايها الشيوعيون تريدون اشاعة المرأة» .

ليست امرأة البرجوازي عنده سوى اداة انتاج بسيطة ، وهو يسمع ان ادوات الانتاج يجب ان تكون مشتركة ، فيستنتج من ذلك بالطبع ان النساء انفسهن سوف يسري عليهن ذلك .

ولا يدخل في وهم البرجوازي ان المسألة هي على العكس تماماً ، واننا نريد اعطاء المرأة دوراً غير هذا الدور الذي تقوم به الآن كأداة انتاج بسيطة .

ولشد ما يضحكنا هذا الذعر فوق الاخلاقي الذي توحيه الى البرجوازيين اشاعة النساء الرسمية التي يزعمون ان الشيوعيين يدعون اليها . ليست بالشيوعيين حاجة الى ادخال اشاعة النساء ، فهي تقريباً كانت دائماً موجودة .

ولا يكتفي البرجوازيون بأن تكون تحت تصرفهم نساء البروليتاريين وبناتهم – هذا عدا البغاء الرسمي – بل يجدون لذة خاصة في اغواء بعضهم لنساء بعض .

ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوى اشاعة النساء المتزوجات . فقصارى ما يمكن ان يتهم به الشيوعيون اذن هو انهم يريدون ، كما يزعم ، الاستعاضة عن اشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمداجاة ، باشاعة صريحة رسمية . ولكن من البديهي الواضح ان محو علاقات الانتاج الحالية يؤدي ، بطبيعة الحال ، الى محو اشاعة النساء التي تنتج منها ، اي ان البغاء ، سواء أكان رسمياً ام غير رسمي ، يزول ويضمحل .

ويتهمون الشيوعيين ، عدا ذلك ، بالرغبة في الغاء الوطن والقومية .

ليس للعمال وطن ، فليس في الاستطاعة اذن سلبهم ما لا يملكون . وبما ان على البروليتاريا ان تستولي اولاً على السلطة السياسية ، وان تشيد نفسها بحيث تغدو الطبقة القائدة للامة ، وان تصبح هي الامة ، فهي لا تزال بعد اذن وطنية ، ولكن ليس بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة .

وها هي الفواصل الوطنية والتناقضات بين الشعوب تزول يوماً بعد يوم تبعاً لتطور البرجوازية ، وحرية التجارة ، والسوق العالمية ، وتشابه الانتاج الصناعي وشروط المعيشة الناجمة عن ذلك .

وعندما تستولي البروليتاريا على الحكم تعمل لازالتها اكثر ايضاً . فان نضال البروليتاريا نضالاً مشتركـا يشمل الاقطار المتمدنة على الاقل ، هو احد الشروط الاولية لتحررها .

ازيلوا استثمار الانسان للانسان ، تزيلوا استثمار امة لاخرى .

وعندما يزول تناحر الطبقات في قلب كل امة يزول في الوقت نفسه العداء والحقد بين الامم .

اما التهم الاخرى الموجهة الى الشيوعية من وجهات نظر دينية وفلسفية ، وبوجه عام ، من وجهات نظر فكرية ، فهي لا تستحق بحثاً عميقاً مستفيضاً .

اذ هل يحتـاج المرء الى تعمق كبير ليدرك ان نظرات الناس ومفهوماتهم وتصوراتهم الفكرية ، او بالاختصار ادراكهم ، يتغير مع كل تغيير يطرأ على ظروف حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وشروط معيشتهم الاجتماعية ؟

وهلا يبرهن تاريخ الافكار على ان الانتاج الفكري يتبدل ويتحور مع تبدل الانتاج المادي وتحوره ؟ فالافكار والآراء السائدة في عهد من العهود لم تكن سوى افكار الطبقة السائدة وآرائها .

وحينما يتحدثون عن افكار تؤثر تأثيراً ثورياً في مجتمع بأسره ، انما يعبرون في الحقيقة عن هذا الحادث وهو انه تشكلت في قلب المجتمع القديم عناصر مجتمع جديد ، وان انحلال الافكار القديمة يسير جنباً الى جنب مع انحلال ظروف المعيشة القديمة .

فحينمـا كان العالم القديم على اعتاب السقوط والزوال : انتصر الدين المسيحي على الاديان الاخرى القديمة ، وحينمـا تركت الافكار المسيحية محلها في القرن الثامن عشر لافكار الرقي الجديدة ، كان المجتمع الاقطاعي يقوم اذ ذاك بمعركته الاخيرة ضد البرجوازية التي كانت حينذاك ثورية . ولم يكن ظهور الافكار القائلة بحرية المعتقد والحرية الدينية الا ايذانا بسيطرة المزاحمة الحرة في ميدان العقائد .

وقد يقولون : «نعم ان الافكار الدينية والاخلاقية والفلسفية والسياسية والحقوقية وما اليها قد طرأ عليها التعديل خلال التطور التاريخي ، ولكن الدين والاخلاق والفلسفـة والسياسة

والحقوق كانت مع ذلك تحافظ دائمـاً على بقائها خلال هذا التحول المستمر .

وهنالك فوق ذلك حقائق ابدية ، مثل الحرية والعدالة ، الخ . ، وهي واحدة مشتركة في جميع مراحل التطور الاجتماعي . اما الشيوعية فهي تلغي الحقائق الابدية ، تلغي الدين والاخلاق عوضاً عن تجديدهما ؛ فهي تناقض اذن كل التطور التاريخي السابق» .

ففيم تتلخص هذه التهمة ؟ ان تاريخ كل مجتمع حتى الآن قائم على التناحر بين الطبقات . وقد اتخذ التناحر اشكالاً مختلفة حسب العهود .

ولكن مهما كان الشكل الذي اتخذه هذا التناحر ، فقد كان هنالك دائماً شيء مشترك بين جميع العصور السالفة ، وهو استثمار قسم من المجتمع لقسم آخر منه . فلا غرابة اذن في ان نرى الادراك الاجتماعي في جميع العصور ، رغم كل اختلاف وكل تنوع ، يتطور ضمن اشكال مشتركة معينة ، اشكال للادراك لن تنحل تماماً الا بزوال التناحر بين الطبقات زوالاً تاماً .

ان الثورة الشيوعية تقطع من الاســاس كل رابطة مع علاقات الملكية التقليدية ؛ فلا عجب اذن ان هي قطعت بحزم ايضاً ، اثناء تطورها ، كل رابطة مع الافكار والآراء التقليدية .

ولكن لندع الآن جانباً ما تبديه البرجوازية من الاعتراضات على الشيوعية .

ان الخطوة الاولى في ثورة العمال هي ، كما راينا ، تحول البروليتاريا الى طبقة سائدة ، والظفر بالديموقراطية .

وستستخدم البروليتاريا سيادتهـا السياسية لاجل انتزاع الراسمال من البرجوازية شيئاً فشيئاً ، ومركزة جميع ادوات

الانتاج في ايدي الدولة ، اي في ايدي البروليتاريا المنظمة في طبقة حاكمة ، وزيادة كمية القوى المنتجة وانمائها باسرع ما يمكن .

ولا يتم ذلك طبعاً في بادئ الامر الا بخرق حق التملك وعلاقات الانتاج البرجوازية بالشدة والعنف ، اي باتخاذ تدابير تتراءى من الوجهة الاقتصادية غير كافية ولا مامونة البقاء ، ولكنها تتعاظم وتتجاوز نفسها بنفسها خلال الحركة وتكون ضرورية لا غنى عنها كوسيلة لقلب اسلوب الانتاج بأسره .

وستختلف هذه التدابير ، طبعاً ، في مختلف الاقطار .

غير انه يمكن تطبيق التدابير التالية ، بصورة عامة تقريباً في اكثر البلاد تقدماً ورقياً :

١ ــ نزع الملكية العقارية وتخصيص الريع العقاري لتغطية نفقات الدولة .

٢ ــ فرض ضرائب متصاعدة جداً .

٣ ــ الغاء الوراثة .

٤ ــ مصادرة املاك جميع المهاجرين والعصاة المتمردين .

٥ ــ مركزة التسليف كله في ايدي الدولة بواسطة مصرف وطني رأسماله للدولة ويتمتع باحتكار تام مطلق .

٦ ــ مركزة جميع وسائل النقل في ايدي الدولة .

٧ ــ تكثير المصانع التابعة للدولة وادوات الانتاج واصلاح الاراضي البور وتحسين الاراضي المزروعة حسب منهاج عام .

٨ ــ جعل العمل اجبارياً للجميع على السواء وتنظيم جيوش صناعية ، وذلك لاجل الزراعة على الخصوص .

٩ ــ الجمع بين العمل الزراعي والصناعي واتخاذ التدابير المؤدية تدريجياً الى محو الفرق بين المدينة والريف .

١٠ – جعل التربية عامة ومجانية لجميع الاولاد ومنع تشغيل الاحداث في المصانع كما يجري اليوم ، والتوفيق بين التربية وبين الانتاج المادي ، الخ ..

وما ان تختفي الفوارق الطبقية وتزول خلال سير التطور ، ويصبح كل الانتاج متمركزاً في ايدي جمعية واسعة تشمل الامة بأسرها ، حتى تفقد السلطة العامة صبغتها السياسية . اذ ان السلطة السياسية بالمعنى الصحيح هي السلطة المنظمة لطبقة من اجل اضطهاد طبقة اخرى . فاذا كانت البروليتاريا ، في نضالها ضد البرجوازية ، تبني نفسها حتماً في طبقة ، واذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثورة طبقة حاكمة ، ثم بصفتها طبقة حاكمة ، تهدم بالعنف والشدة علاقات الانتاج القديمة ، فانها بهدمها علاقات الانتاج القديمة تهدم في الوقت نفسه ظروف وجود التناقض والتناحر بين الطبقات وتهدم الطبقات بصورة عامة ، وبذلك تهدم ايضاً سيادتها ذاتها من حيث هي طبقة .

وعلى انقاض المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وتناقضاته الطبقية يبرز مجتمع جديد تكون حرية التطور والتقدم لكل عضو فيه شرطاً لحرية التطور والتقدم لجميع الاعضاء .

٣

الادب الاشتراكي والشيوعي

١ ـ الاشتراكية الرجعية

أ ـ الاشتراكية الاقطاعية

كتبت الارستقراطية الفرنسية والانكليزية كثيراً من الرسائل الهجائية في ذم المجتمع البرجوازي الحديث ، مدفوعة الى ذلك بحكم وضعيتها التاريخية ، اذ انها في الثورة الفرنسية في تموز (يوليو) عام ١٨٣٠ وكذلك في حركة الاصلاح الانكليزية ، كانت قد غلبت على امرها مرة اخرى وتداعت تحت ضربات الوافد الجديد البغيض المكروه . فلم يعد في امكانها القيام بنضال سياسي جدي ، لم يبق لها سوى النضال الادبي ، ولكن في الميدان الادبي ايضاً لم يعد يقام وزن للعبارات المبهرجة الفارغة التي كانت سوقها رائجة في عهد عودة الملكية * . فلكيما تتمكن الارستقراطية من ايجاد من يعطف عليها ، كان عليها ان تتظاهر بانها لا تهتم

---

* ليس المقصود هنا عودة الملكية في انكلترا ١٦٦٠-١٦٨٩ ، بل في فرنسا في ١٨١٤-١٨٣٠ . **(ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨)** .

بمصالحها الخاصة ، وانها توجه اتهاماتها الى البرجوازية غيرة منها على مصلحة الطبقة العاملة المستثمرة فحسب ، وعلى هذه الصورة كانت تؤمن لنفسها لذة السخر بسيدها الجديد والدمدمة في اذنه بنبوءات النحس والشؤم عن مستقبل ايامه .

وهكذا نشأت الاشتراكية الاقطاعية مزيجاً من الشكاوى والاهاجي ، من ذكريات الماضي واخطار المستقبل . واذا كان انتقادها المر اللاذع البارع يصيب البرجوازية احياناً في صميم قلبها ، فان عجزها المطلق عن فهم سير التاريخ الحديث كان يسبل عليها دوماً ثوباً من السخافة والسخرية .

وقد لوح الارستقراطيون بجراب البروليتاريا الشحاذي واتخذوه علماً لهم لكي يقودوا الشعب وراءهم . ولكن ما ان تراكض الشعب نحوهم حتى رأى الشعارات الاقطاعية القديمة تزين مؤخرتهم ، فتولى عنهم وهو يقهقه قهقهة السخر والاستخفاف .

وقد مثل هذا المشهد امام العالم قسم من الليجيتيميين الفرنسيين وكذلك «انكلترا الفتاة» * .

وعندما يبرهن الاقطاعيون ان اسلوب الاستثمار الاقطاعي كان غير اسلوب الاستثمار البرجوازي ، لا ينسون الا شيئاً واحداً هو ان الاقطاعية كانت تستثمر ضمن شروط وظروف اخرى تلاشت اليوم ومضى زمانها . وكذلك عندما يلاحظون ان البروليتاريا

* الليجيتيميون («الشرعيون») — حزب من النبلاء مالكي الاراضي ، انصارعودة آل بوربون الى الحكم في فرنسا ، تأسس بعد ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠ . «انكلترا الفتاة» — جماعة من الارستقراطيين الانكليز نشأت حوالي ١٨٤٢ وكانت تضم نفرا من الساسة والادباء من مؤيدي حزب المحافظين . ومن ابرز اعضائها ديزرائيلي وتوماس كارليل . — **الناشر** .

الحديثة لم تكن موجودة في ظل حكمهم ، لا ينسون ايضاً الا شيئاً واحداً هو ان البرجوازية الحديثة نفسها ليست سوى الوليدة الضرورية لنظامهم الاجتماعي .

وتظهر ، من جهة اخرى ، الطبيعة الرجعية لانتقاداتهم في كون اهم ما يلومون البرجوازية عليه انها خلقت في عهدها طبقة سوف تهدم كل النظام الاجتماعي القديم .

انهم لا يجرمون البرجوازية لانها انتجت البروليتاريا ، بمقدار ما يجرمونها لان هذه البروليتاريا التي انتجتها هي ثورية .

وعليه فانهم في النضال السياسي يساهمون في جميع تدابير العنف والشدة ضد الطبقة العاملة . وتراهم كذلك في حياتهم العادية بالرغم من عباراتهم المبهرجة المنتفخة ، ينحنون لالتقاط الثمار الذهبية التي تنثرها شجرة الصناعة ، ويبيعون الشرف والحب والوفاء بالصوف وسكر الشمندر وكأس الخمرة . *

وكما كان الكاهن والاقطاعي يسيران دوما يداً بيد ، كذلك نسير الاشتراكية الكهنوتية جنباً لجنب مع الاشتراكية الاقطاعية .

وليس اسهل من ان يطلى النسك والزهد المسيحي بطلاء ن الاشتراكية . أفلم تدع المسيحية ايضاً ضد الملكية الخاصة

---

* وهذا ينطبق ، بالدرجة الاولى على المانيا ، حيث الارستقراطيون الزراعيون وكبار اصحاب الاراضي الالمان يشرفون على ادارة الشؤون الاقتصادية في القسم الاكبر من اراضيهم على حسابهم الخاص بواسطة الوكلاء ، ويملكون ، علاوة على ذلك ، معامل كبيرة للسكر والخمور . اما الارستقراطيون الانكليز الذين هم اغنى منهم ، فلم تبلغ بهم الحال هذه الدرجة بعد ؛ الا انهم يعرفون هم ايضا كيف يعوضون عن هبوط الريع ، بتقديم اسمائهم لمؤسسي شركات مساهمة مشكوك فيها لهذا الحد او ذاك . (**ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨ .**) .

والزواج والدولة ؟ ألم تبشر ، عوضاً عنها ، بالمحبة والاحسان والاسمال الرثة والتبتل وقتل الجسد والتقشف والرهبانية والكنيسة ؟ ان الاشتراكية المسيحية ليست سوى الماء المقدس الذي يسكبه الكاهن على نار الغيظ المتاججة بين جوانح الارستقراطية .

ب – الاشتراكية البرجوازية الصغيرة

ليست الارستقراطية الاقطاعية الطبقة الوحيدة التي هدمتها البرجوازية ولا الطبقة الوحيدة التي تنحل ظروف معيشتها وتفنى شيئاً فشيئاً في المجتمع البرجوازي الحديث . كان سكان المدن وصغار الفلاحين في القرون الوسطى اسلاف البرجوازية الحديثة . وفي البلاد المتاخرة صناعتها وتجارتها لا تزال هذه الطبقة تحيا حياة الضيق والشقاء الى جانب البرجوازية المزدهرة النامية .

لقد تالفت في البلاد ، التي ازدهرت فيها المدنية الحديثة ، برجوازية صغيرة جديدة تتذبذب بين البروليتاريا والبرجوازية . ولما كانت هذه الطبقة جزءاً مكملاً للمجتمع البرجوازي فانها تتكون بدون انقطاع ، ولكن الافراد الذين يؤلفون هذه الطبقة يتدهورون على الدوام ، بنتيجة المزاحمة ، الى صفوف البروليتاريا . وفوق ذلك يشعرون ، مع سير الصناعة الكبرى الى امام ، باقتراب الساعة التي ينقرضون فيها كلياً بوصفهم قسماً متميزاً من المجتمع الحديث ، ليحل محلهم في التجارة والصناعة والزراعة ، النظار والمستخدمون .

وكان من الطبيعي في اقطار مثل فرنسا ، يؤلف فيها الفلاحون اكثر بكثير من نصف السكان ان يعمد بعض الكتاب الذين يناصرون البروليتاريا ضد البرجوازية ، الى انتقاد النظام البرجوازي

والدفاع عن العمال من وجهة نظر خاصة بصغـار البرجوازيين والفلاحين . وعلى هذه الصورة تشكلت الاشتراكية البرجوازية الصغيرة . وكان سيسموندي زعيم هذا الادب لا في فرنسا فحسب ، بل في انكلترا ايضاً .

وقد حللت هذه الاشتراكية ، بكثير من التعمق ، التناقضات اللاصقة بعلاقات الانتاج الحديثة وكشفت القناع عن تقاريظ الاقتصاديين المملوؤة رياء ونفاقاً واثبتت ، بشكل مفحم لا يدحض ، النتائج القتالة لادخال الآلة في الصناعة ولتقسيم العمل ، وتمركز الرساميل والملكية العقارية ، وفيض الانتاج ، والازمات ، وانحطاط البرجوازيين الصغار والفلاحين وتدهورهم المحتوم ، وبؤس البروليتاريا ، والفوضى في الانتاج ، والتفاوت الفاحش في توزيع الثروة ، والحرب الصناعية المبيدة المهلكة بين الامم ، وانحلال الاخلاق القديمة والعلاقات العائلية القديمة والقوميات القديمة .

ولو رحنـا نحكم على هذه الاشتراكيـة حسب مضمونهـا الحقيقي ، لرأينا اما انها تبغي ان تعيد وسائل الانتاج والتبادل القديمة وتوطدها من جديد وتعيد معها علاقات الملكية القديمة والمجتمع القديم ، واما انهـا تبغي ان تحصر بالقوة وسائل الانتاج والتبادل الحديثة في نطاق علاقات الملكية القديمة ، هذا النطـاق الضيق الذي حطمته ، وكان لا بد ان تحطمه حتماً هذه الوسائل الحديثة نفسهـا . وفي الحالتين تكون هذه الاشتراكية رجعية طوبوية في آن واحد .

فكلمتهـا الاخيرة هي ادخـال النظـام الحرفي في الصناعة ، وادخال النظام البطريركي في الزراعة .

وفيما بعد ، تحول هذا الاتجاه الى هراء حقير .

ج – الاشتراكية الالمانية او الاشتراكية «الصحيحة»

ان الآداب الاشتراكية والشيوعية الفرنسية ، وقد نشأت تحت ضغط البرجوازية الحاكمة المسيطرة وكانت التعبير الادبي عن التمرد على هذه السيطرة ، دخلت المانيا حين كانت البرجوازية الالمانية في بدء نضالها ضد الاستبداد الاقطاعي المطلق .

وقد تهافت الفلاسفة وانصاف الفلاسفة والمتأدبون الالمان بشراهة ونهم على هذه الآداب ، ولكن سها عن بالهم ان استيراد الآداب الفرنسية الى المانيا لم يرافقه في الوقت نفسه استيراد الظروف والاوضاع الاجتماعية الفرنسية اليها . فقد فقدت هذه الآداب الفرنسية كل دلالة عملية مباشرة بالنسبة للظروف الاجتماعية الالمانية واتخذت صبغة ادبية محضة . ولذا ما كانت لتبدو ، بطبيعة الحال ، الا كعبث فكري لا طائل تحته حول تحقيق الطبيعة البشرية . وهكذا لم تكن مطالب الثورة الفرنسية الاولى في نظر الفلاسفة الالمان في القرن الثامن عشر ، سوى مطالب «العقل العملي» بوجه عام ، ولم تكن مظاهر ارادة البرجوازيين الثوريين الفرنسيين تعبر في نظرهم الا عن قوانين الارادة الخالصة النقية ، الارادة كما يجب ان تكون ، الارادة التي هي حقاً انسانية .

اما عمل الادباء الالمان الخاص فكان مقتصراً على التوفيق بين الافكار الفرنسية الجديدة وادراكهم الفلسفي القديم او ، على الاصح ، على استيعاب الافكار الفرنسية بجعلها مطابقة لفلسفتهم الخاصة .

وقد تم استيعاب هذه الافكار كما يستوعب المرء لغة اجنبية ، اي بالترجمة .

ومعروف كيف اخذ الرهبان مخطوطات المؤلفات الكلاسيكية في العهد الوثني القديم وغطوها بخرافات واساطير سخيفة عن القديسين الكاثوليك . اما الادباء الالمان فكان شانهم مع الآداب الفرنسية الجاحدة على عكس ذلك تماماً . فقد دسوا غباواتهم الفلسفية تحت الاصل الفرنسي . فانهم مثلاً اخذوا الانتقاد الفرنسي لنظام المال وكتبوا تحته «انتزاع الطبيعة البشرية» ، وتحت الانتقاد الفرنسي للدولة البرجوازية كتبوا – «انخلاع سلطان الكونية المجردة» ، وهلم جراً .

وبعد ما ابدلوا الشروح الفرنسية بهذه العبارات الفلسفية المبهرجة الفارغة ، اطلقوا على عملهم هذا مختلف الاسماء مثل «فلسفة العمل» و«الاشتراكية الصحيحة» و«علم الاشتراكية الالماني» و«تبرير الاشتراكية فلسفياً» ، الخ ..

وعلى هذه الصورة جردوا الآداب الاشتراكية والشيوعية الفرنسية تجريداً تاماً من الصفات التي كانت جوهر قوتها وسلبوها رجولتها . وبما انها اصبحت بين ايدي الالمان بعد هذا العبث والتشويه في حالة لا تعبّر معها عن نضال طبقة ضد اخرى ، فقد اخذ سادتنا الالمان يهنئون انفسهم بانهم ارتفعوا فوق «المستوى الفرنسي المحدود الضيق» وبانهم دافعوا لا عن حاجات حقيقية بل عن حاجة الحقيقة ، ولا عن مصالح البروليتاريا بل عن مصالح الكائن الانساني ، مصالح الانسان على العموم ، الانسان الذي لا ينتمي الى اية طبقة ولا يرتبط باي واقع ، الانسان الذي لا تجده الا بين الغيوم السابحة في سماء الاهواء الفلسفية .

الا ان هذه الاشتراكية الالمانية التي كانت تنظر بكثير من الاحتفال والجد الى تطبيقاتها غير البارعة الشبيهة بتمارين

تلاميذ المدارس ، وترفع بها عقيرتها وتنادي بها في ابواقها بشعوذة مدوية صاخبة ، قد فقدت شيئاً فشيئاً السذاجة البريئة المتصفة بمباهاة ادعياء العلم والمعرفة .

فقد اصبح كفاح البرجوازية الالمانية ولا سيما البرجوازية البروسية ضد الاقطاعيين والملكية المطلقة ، او بعبارة اخرى اصبحت الحركة الليبيرالية ، ذات صبغة جدية اكثر من ذي قبل .

وبذلك سنحت للاشتراكية «الصحيحة» الفرصة المنشودة لمعارضة الحركة السياسية بالمطالب الاشتراكية ، فاسرفت في كيل اللعنات التقليدية للنزعة الليبيرالية والدولة التمثيلية والمزاحمة البرجوازية وحرية النشر البرجوازية والحقوق البرجوازية والحرية البرجوازية والمساواة البرجوازية ، واستطاعت ان تبث الدعوة بين الجماهير بانها لا تربح شيئاً بل بالعكس تخسر كل شيء من وراء هذه الحركة البرجوازية . وهكذا نسيت الاشتراكية الالمانية في الوقت المناسب للغاية ان الانتقاد الفرنسي الذي لم تكن هي ذاتها سوى صداه الحقير ، كان يفرض مقاماً وجود المجتمع البرجوازي الحديث مع ما يرتبط به من ظروف المعيشة المادية ومن دستور سياسي موافق له وما الى ذلك من الشؤون التي كان لا يزال على المانيا ان تعمل لتحقيقها والحصول عليها .

اما الحكومات المطلقة في المانيا ، بحاشيتها الضخمة من القسس والكهنة والاساتذة المربين والاقطاعيين والبيروقراطيين ، فقد اصبحت هذه الاشتراكية في ايديها ، الفزاعة المنشودة التي تخيف بها البرجوازية المهددة المهاجمة .

وهكذا اضافت هذه الاشتراكية رياءها التافه الحلاوة الى

الرصاص والسياط التي كانت هذه الحكومات نفسها تسلطها بقساوة وشراسة على العمال الالمان المتمردين .

ان هذه الاشتراكية «الصحيحة» اصبحت ، على هذه الصورة ، سلاحاً ضد البرجوازية الالمانية في ايدي الحكومات ، فانها كانت ، زيادة وعدا على ذلك ، تمثل بصورة مباشرة مصلحة رجعية هي مصلحة البرجوازية الصغيرة الالمانية . والبرجوازية الصغيرة هذه التي خلفها القرن السادس عشر والتي ما انفكت منذ ذلك الحين تتولد وتتولد دون انقطاع تحت اشكال مختلفة ، تؤلف الاساس الاجتماعي الحقيقي للنظام القائم في المانيا .

فالمحافظة عليها معناها المحافظة على النظام القائم في المانيا . وواضح ان السيادة الصناعية والسياسية للبرجوازية تهدد هذه البرجوازية الصغيرة بالسقوط الاكيد بنتيجة تمركز الرساميل من جهة ، ونمو البروليتاريا الثورية من جهة اخرى . ولذلك تراءى لهذه البرجوازية الصغيرة ان الاشتراكية «الصحيحة» تستطيع اصابة عصفورين بحجر واحد ، فانتشرت انتشار الوباء .

وقد صنع الاشتراكيون الالمان من شفوف نظرياتهم المهلهلة ثوباً فضفاضاً مزركشاًبازهار دقيقة من فصاحتهم ومبللا بانداء العواطف الرقيقة الحارة ، واسبلوه على الهيكل العظمي «لحقائقهم الابدية» ، الامر الذي ما كان الا ليزيد في رواج بضاعتهم بين جمهور كهذا .

وقد ادركت الاشتراكية الالمانية من جهتها ، يوماً بعد يوم ، انها قد الهمت واوحي اليها ان تكون هي الممثل الباذخ لهذه البرجوازية الصغيرة .

فنادى مناديها بان الامة الالمانية هي الامة النموذجية وان التافه ، الضيق الافق الالماني هو الانسان النموذجي . والصقت بكل رذائل هذا الانسان النموذجي ونقائصه معنى دفينــاً ، معنى اشتراكياً عالياً ، يغير وجهها ويقلبها تمامــاً . واندفعت في هذا الطريق الى نهايته فاعلنت انها تقاوم ميل الشيوعية «الهدام الفظيع» وانها تحلق في حيادها السامي فوق كل نضال طبقي . وكل المؤلفــات الاشتراكية او الشيوعيــة المزعومة المتداولة في المانيا ، ما عدا القليل النادر منها ، تنتمي الى هذه الآداب القذرة المثيرة للاعصاب* .

٢ – الاشتراكية المحافظة او البرجوازية

يحاول قسم من البرجوازية ايجاد علاج للامراض الاجتماعية لاجل تقوية دعائم المجتمع البرجوازي .

وينتسب الى هذا الصنف الاقتصاديــون ورجــال الخير والانسانيون والناس الذين يهتمون بتحسين مصير الطبقات الكادحة ، وتنظيم اعمال البر والاحسان ، وحماية الحيوانات ، وتاليف جمعيــات الاعتدال والقناعــة ، اي بالاختصار جميع المصلحين الذين يستوحون آراءهم الاصلاحية من فضاء غرفهم . وقد بلغ بهم الامر الى صوغ هذه الاشتراكية البرجوازية في نظم كاملة .

ونذكر كمثــال عن هذه الاشتراكيــة «فلسفــة البؤس» لبرودون .

---

* لقد كنست العاصفة الثورية عام ١٨٤٨ هذه المدرسة الخسيسة كلها وقضت على كل ميل لدى اتباعها الى متابعة استغلال اسم الاشتراكية . وكان السيد كارل غرون الممثل الرئيسي والنموذج الكلاسيكي لهذه المدرسة . (**ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية عام ١٨٩٠**) .

ان البرجوازيين الاشتراكيين يريدون بقاء ظروف المعيشة في المجتمع الحديث ولكن على ان تخلو من النضال والاخطار التي تنشأ بالضرورة عن هذه الظروف نفسها . انهم يريدون بقاء المجتمع الحالي ، ولكن مطهراً من العناصر التي تغيره ثورياً وتنخره وتحله . انهم يريدون البرجوازية ولكن بدون البروليتاريا . ان البرجوازية تتصور ، بالطبع ، العالم الذي تسود فيه وتسيطر عليه كاحسن العوالم ، والاشتراكية البرجوازية تنظم هذا التصور المعزي وتسكبه في مجموعة قواعد ونظم متنوعة ، كاملة الى هذا الحد او ذاك . وهي عندما تدعو البروليتاريين الى تحقيق نظمها واتباع قواعدها ، والدخول بذلك الى ارض الميعاد الجديدة ، انما تدعوهم في الحقيقة الى القناعة والاكتفاء بالمجتمع الحالي ، ولكن مع التخلي عن نظرة البغض والمقت التي ينظرون بها اليه .

وهناك شكل آخر من هذه الاشتراكية اقل انتظاماً ولكنه عملي اكثر ، سعى الى تكريه العمال بكل حركة ثورية بان حاول ان يبرهن لهم ان اي انقلاب او تغيير سياسي لا يعود عليهم بأية فائدة ، وانما تغيير ظروف الحياة المادية ، اي العلاقات الاقتصادية ، هو وحده الذي يستطيع ان يفيدهم . وتجب الملاحظة بان هذه الاشتراكية لا تعني ابداً من تغيير ظروف الحياة المادية هدم علاقات الانتاج البرجوازية الذي لا يمكن تحقيقه الا بالثورة ، بل تعني فقط تحقيق اصلاحات ادارية على اساس علاقات الانتاج البرجوازية نفسها ، اصلاحات لا تمس ، بالتالي ، في قليل او كثير علاقات الرأسمال بالعمل المأجور ، بل كل ما تفعله انها تخفض عن البرجوازية نفقات حكومتها وتسهل لها ادارتها .

ولا تبلغ الاشتراكية البرجوازية الغاية القصوى في التعبير عن كنهها ومراميها بتمامها الا عندما تصبح نوعاً بسيطاً من المجاز والاستعارة .

التبادل الحر ! لمصلحة الطبقة العاملة ؛ الحماية الجمركية ! لمصلحة الطبقة العاملة ؛ سجون انفرادية ! لمصلحة الطبقة العاملة – هذه هي الكلمة الاخيرة للاشتراكية البرجوازية ، وهي حقاً الكلمة الوحيدة التى قالتها جادة غير هازلة .

اذ ان الاشتراكية البرجوازية ، من ألفها الى يائها ، تنطوي عليها هذه العبارة : ان البرجوازيين هم برجوازيون ... لمصلحة الطبقة العاملة .

٣ – الاشتراكية والشيوعية الانتقاديتان الطوبويتان

ليس موضوع البحث هنا الادب الذي افصح في كل الثورات الحديثة الكبرى عن مطالب البروليتاريا (مثل كتابات بابوف وغيره) .

فان المحاولات الاولى المباشرة التي قامت بها البروليتاريا لتحقيق مصالحها الطبقية الخاصة في وقت عم فيه الغليان والثوران ، خلال مرحلة هدم المجتمع الاقطاعي ، انتهت بالضرورة الى الفشل نظراً لان البروليتاريا كانت غير متطورة ونظراً لغياب الظروف والشروط المادية اللازمة لتحريرها ، هذه الظروف التي لا يمكن ان تنشأ الا في العهد البرجوازي . ومن الواضح ان الادب الثوري الذي رافق حركات البروليتاريا هذه لا بد ان يكون ذا محتوى رجعي . وهو يدعو الى زهد عام وسواسية خشنة فظة .

اما النظم الاشتراكية والشيوعية التي جاء بها سان سيمون وفوريه واووين وسواهم ، فقد ظهرت في المرحلة الاولى غير

المتطورة للنضال بين البروليتاريا والبرجوازية ، وهي المرحلة التي تكلمنا عنها فيما سبق (راجع فصل «البرجوازيون والبروليتاريون») .

صحيح ان مبتدعي هذه النظم يدركون التناقض والتناحر بين الطبقات ، وكذلك فعل عناصر الانحلال في المجتمع السائد نفسه . غير انهم لا يرون للبروليتاريا اية مبادرة تاريخية او اية حركة سياسية خاصة بها .

وبما ان نمو التناحر الطبقي يسير جنباً الى جنب مع نمو الصناعة ، فانهم كذلك لا يرون بعد نشوء الظروف المادية اللازمة لتحرير البروليتاريا ، ويأخذون في البحث عن علم اجتماعي ، عن قوانين اجتماعية ، لاجل خلق هذه الظروف .

فتراهم يستعيضون عن النشاط الاجتماعي بنشاطهم الابداعي ، وفي مكان الشروط التاريخية للتحرير يضعون شروطاً خيالية ، وعوضاً عن تنظيم البروليتاريا التدريجي في طبقة يضعون تنظيماً اجتماعياً كل تفاصيله من مبتكراتهم . ومستقبل العالم في نظرهم يتقرر بالدعاية لبرامجهم ومشاريعهم عن المجتمع وتطبيقها .

الا انهم ، عند وضع برامجهم ومشاريعهم هذه ، يدركون انهم يهتمون قبل كل شيء بمصالح الطبقة العاملة ، بوصفها اكثر الطبقات تألماً وتعساً . فليست البروليتاريا بالنسبة اليهم الا اكثر الطبقات تألماً وتأذياً فحسب .

الا ان الشكل الابتدائي لنضال الطبقات وكذلك وضعيتهم الاجتماعية الخاصة ، يدفعانهم الى اعتبار انفسهم فوق كل تناحر طبقي ، فيرغبون في تحسين احوال جميع اعضاء المجتمع حتى احسنهم حالاً واكثرهم امتيازاً وتنعماً . ولذا لا يكفون عن

التوجه بندائهم الى المجتمع بأسره دون تمييز ولا تفريق ، بل انهم غالباً ما يتوجهون الى الطبقة الحاكمة المسيطرة . اذ يكفي في نظرهم ان يفهم المرء حقيقة مشروعهم ونظامهم ليعترف بانه احسن مشروع ممكن لتنظيم احسن مجتمع ممكن .

فهم يرفضون اذن كل عمل سياسي ، وينكرون على الخصوص كل عمل ثوري ويسعون الى بلوغ هدفهم بوسائل سلمية ، ويحاولون ان يشقوا الطريق لانجيلهم الاجتماعي الجديد بقوة المثال وبالقيام بتجارب على مقياس صغير مصيرها طبعاً دائماً الاخفاق والفشل .

ولا ريب ان تصوير المجتمع المقبل تصويراً خيالياً في عهد تنظر فيه البروليتاريا التي لا تزال ضعيفة التطور ، الى اوضاعها الخاصة بصورة هي ذاتها خيالية ، ان هذا التصوير ينشأ عن رغائب العمال الغريزية الاولى في تغيير تام كامل للمجتمع .

الا ان هذه الكتابات الاشتراكية والشيوعية تحوي كذلك عناصر انتقادية ، فهي تهاجم المجتمع الحالي في قواعده واسسه ، ولذلك قدمت في حينها مواد قيمة جداً لانارة العمال وتثقيفهم . وكانت التدابير العملية التي اقترحتها لما يجب ان يكون عليه المجتمع المقبل ، مثل محو التضاد بين المدينة والريف والغاء العائلة والربح الخاص والعمل الماجور واعلان الانسجام والتناسق الاجتماعي وتحويل الدولة الى مجرد ادارة بسيطة تدير الانتاج — كل هذه التدابير المقترحة لا تفعل غير ان تعبر عن ضرورة زوال تناحر الطبقات ، هذا التناحر الذي لم يكن الا في بداية ظهوره اذ ذاك ، والذي لم يعرف منه واضعو هذه النظم سوى

اشكاله الاولى المبهمة الغامضة المبلبلة . ولذا ليس لهذه الاقتراحات سوى معنى طوبوي صرف .

ان اهمية الاشتراكية والشيوعية الانتقاديتين الطوبويتين تتناسب عكساً مع التطور التاريخي . فكلما اشتد نضال الطبقات واتخذ شكلاً واضحاً ، فان هذه الرغبة الخيالية في التعالي عليه ، وهذه الطريقة الخيالية في معارضته ، تفقدان كل معنى عملي وكل تبرير نظري . ولذلك اذا كان واضعو هذه النظم في كثير من النواحي ثوريين ، فان تلاميذهم يؤلفون دائماً حلقات ضيقة مغلقة رجعية . فهم يتمسكون اشد التمسك بمفاهيم اساتذتهم القديمة ، بصرف النظر عن تطور البروليتاريا التاريخي المطرد . ولذا يحاولون ، وهم بذلك منطقيون مع انفسهم ، ان يخففوا من حدة النضال الطبقي وان يوفقوا بين التناقضات . وهم ما ينفكون يحلمون بتحقيق تدابيرهم الاجتماعية الخيالية عن طريق التجربة – وذلك باقامة «الفالانستيرات» المنعزلة ، او بانشاء مستعمرات في الداخل ["Home-colonies"] او بتاسيس «ايكارية» * صغيرة تكون طبعة جيب عن ارض الميعاد الجديدة ،

---

* الفالانستير (Phalanstère) – تعبير اطلقه فوريه على المجتمعات الاشتراكية التي تخيلها . وايكارية (Icarie) – اسم اطلقه كابه على بلد تخيله ، ثم على مستعمرة شيوعية انشاها في اميركا . (**ملاحظة انجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨ .**) .

Home-colonies (مستعمرات داخل البلاد) . هكذا سمى اووين مجتمعاته الشيوعية النموذجية . وفالانستير هو اسم القصور الاجتماعية التي تخيلها فوريه . ايكارية اسم بلد خيالي طوبوي وصف به كابه مؤسساته الشيوعية . (**ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية عام ١٨٩٠ .**) .

ـ ولاجل بناء جميع هذه القصور الهوائية الخيالية التي تولدها احلامهم يرون انفسهم مجبرين على الاستغاثة بقلوب وجيوب «محبي الخير» من البرجوازيين . وبذلك يقعون شيئاً فشيئاً في عداد الاشتراكيين الرجعيين او المحافظين الذين سبق الكلام عنهم ، ولا يتميزون منهم الا بادعاء علمي اكثر انتظاماً وتنسيقاً ، وبايمان بالمفعول العجيب الخارق لعلمهم الاجتماعي ايماناً يصل الى حد الخرافة والتعصب الاعمى .

فهم يعارضون اذن باصرار وعناد كل حركة سياسية للطبقة العاملة ، لان مثل هذه الحركة السياسية لا يتاتى ، حسب رأيهم ، الا عن كفر اعمى بالانجيل الجديد .

ان الاوونيين في انكلترا يعارضون الشارتيين وانصار فوريه في فرنسا يعارضون الاصلاحيين* .

---

* يقصد بالاصلاحيين انصار جريدة «لاريفورم» «La Réforme» («الاصلاح») ، التي صدرت في باريس في ١٨٤٣ـ١٨٥٠ . ـ **الناشر** .

٤

موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة

حسب ما قلنا في الفصل الثاني ، يتضح موقف الشيوعيين من نفسه تجاه احزاب العمال المؤلفة سابقاً ، وبالتالي ، فموقفهم واضح من الشارتيين في انكلترا ومن المصلحين الزراعيين في اميركا الشمالية .

ان الشيوعيين يناضلون في سبيل المصالح والاهداف المباشرة للطبقة العاملة ، الا انهم في الحركة الحالية يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة . ففي فرنسا يتحالف الشيوعيون مع الحزب الاشتراكي-الديموقراطي* ضد البرجوازية

---

* ان هذا الحزب كان يمثله في البرلمان ليدرو رولان ، وفي الادب لوي بلان ، وفي الصحافة اليومية جريدة «La Réforme» وقد اطلقوا اسم «الاشتراكي-الديموقراطي» على ذلك القسم من الحزب الديموقراطي او الجمهوري ، الذي كان يتصف لهذه الدرجة او تلك باللون الاشتراكي . (**ملاحظة انجلس للطبعة الانجليزية عام ١٨٨٨**) .

ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في فرنسا كان يمثله في الحياة السياسية ليدرو رولان ، وفي الادب لوي بلان ، فهو بعيد اذن عن الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية الحالية بعد السماء عن الارض . (**ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية عام ١٨٩٠** .) .

المحافظة والراديكالية ، مع احتفاظهم بحق انتقاد العبارات والاوهام التي خلفتها التقاليد الثورية .

وفي سويسرا يؤيدون الراديكاليين ، دون ان ينكروا ان هذا الحزب مؤلف من عناصر متناقضة ، قسم منها اشتراكي ديموقراطي بالمعنى الفرنسي للكلمة ، والقسم الآخر برجوازي راديكالي .

وفي بولونيا يؤيد الشيوعيون الحزب الذي يرى في الثورة الزراعية شرط التحرير الوطني ، اي الحزب الذي قام بانتفاضة كراكوفيا عام ١٨٤٦ .

وفي المانيا يناضل الحزب الشيوعي بالاتفاق مع البرجوازية ما دامت تناضل هذه البرجوازية نضالاً ثورياً ضد النظام المَلَكي المطلق وضد المُلْكية الاقطاعية العقارية ، وضد البرجوازية الصغيرة الرجعية .

الا انه لا يتغافل لحظة عن ايقاظ شعور واضح وادراك صريح لدى العمال عن التناحر العنيف القائم بين البرجوازية والبروليتاريا ، لأجل ان يتمكن العمال الالمان من الاستفادة على الفور من الظروف الاجتماعية والسياسية التي ترافق بالضرورة سيادة البرجوازية ، واستخدامها سلاحاً ضد البرجوازية بالذات ، لكي يمكن اشهار النضال على البرجوازية نفسها ، اثر اسقاط الطبقات الرجعية في المانيا .

ان انتباه الشيوعيين يتوجه بصورة خاصة نحو المانيا ، لانها على اعتاب ثورة برجوازية ، ولانها ستقوم بهذه الثورة في ظروف تكون فيها المدنية الاوربية اكثر تقدماً ورقياً ، ومع بروليتاريا متقدمة نامية اكثر مما كانت عليه في انكلترا في القرن السابع عشر وفي فرنسا في القرن الثامن عشر . فالثورة

البرجوازية الالمانية لا تكون ، بالتـالي ، سوى بداية وتمهيد مباشر لثورة بروليتارية .

والخلاصة ان الشيوعيين يؤيدون في كل قطر من الاقطار كل حركة ثورية ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم .

وفي كل هذه الحركات يضعون في المقدمة مسألة الملكية باعتبار انها المسألة الاساسية في الحركة ، مهما كانت الدرجة التي بلغتها هذه المسألة في تطورها .

واخيراً ، يعمل الشيوعيون على الاتحاد والتفاهم بين الاحزاب الديموقراطية في جميع الاقطار .

ويترفع الشيوعيون عن اخفاء آرائهم ومقاصدهم ، ويعلنون صراحة ان اهدافهم لا يمكن بلوغها وتحقيقها الا بدك كل النظام الاجتماعي القائم بالعنف . فلترتعش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية . فليس للبروليتاريا ما تفقده فيهـا سوى قيودهـا واغلالها ، وتربح من ورائها عالماً باسره .

يا عمال العالم ، اتحدوا !

المحتويات

البيان الشيوعي

الشركة اللبنانية للكتاب
بيروت - لبنان